الإهداء

يخالطني شعور بالفرح كبير، وسرور داخلي مفعم، وأنا أورخ لأضخم ثورة مصرية في التاريخ، بل في ثورات العصر الحديث..انطلقت من ميدان التحرير(الإسماعيلية) سابقا، وقد كان نقطة تحول لتغريب المرأة المسلمة، وسن القوانين الوضعية، وقد كنت مشيت فيه، وجلست للقراءة وشرب الشاي.. وأعود إليه الآن، وقد غير وجه مصر، فأحس بالافتخار الباذخ، والانتشاء الغاص، وقد صار رمزاً لمطردة الطواغيت والمجرمين، الذين قزموا الأمة، وأهانوها، ونهبوا ثرواتها..

فإلى جيل القراءة، ومحبي الأحداث المفصلية التاريخية، في هذه الأمة، أهديهم هذه المشاعر، التي كتبت بعين حاضرة شاهدة، قرأت الحدث، وتأملته واستشرفته، بلا كتاب ولا مرجع..!سوى المعاينة اللذيذة، الموهوبة من الباري، ليس لها من مصلحة إلا تدوين الحقيقة، واستلهام العبر منها..(فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) ...

بسم الله الرحمن الرحيم

***

البداية

أسير الآن في شارع أحمد عرابي، ضحوةً بحي المهندسين...
عربات الأمن المركزي منتشرة، ومترقبة.. المارة قلائل، هدوء حذر... !
ذاهب إلى جامع المحروسة لصلاة الجمعة.. معي ابناي يزن وأسيد، أشعر بتغير الناس..!
لا سيما وقد دُعي إلى ما سمي (**جمعة الغضب)**، والخبر شحيح عن الأيام السالفة، التي يذكر فيها سقوط شهداء في محافظة السويس ...
أقصد يوم **(الثلاثاء 25 يناير**)، حيث طبخ الإعلام الرسمي طبخته...
في التعتيم والإغواء، وكأن البلد ليس مقبلا على ما يشبه الهبة أو الثورة..!
وقد كنت ومنذ زمن بعيد، أستشرف الثورة العربية ، وأقول في مجالسي الخاصة، إن من أكثر الشعوب تشوفاً للثورة، هو الشعب المصري !! لأنني كنت ألحظ وجود النزعة الثورية لديهم، وقوة العاطفة الدينية ، والشعب المصري يمتاز بذلك ، وسيكون مُنفرجَ التغيير العربي الإسلامي القادم....وحصول منعطفات تاريخية وثورية في مصر من قديم الأعصار..
أضِف الى مقدمات الثورة المتغلغلة في نفوسهم، وهي كالتالي :

1- **ظلم فادح .**
2- **وقمع صارم .**
3- **وتجويع متعمد.**
4- **وتهميش حاصد.**
5- **واستبداد بالثروة والسلطة والكرامة !!**
6- **وانفصام شعبي عن النظام الحاكم، بحيث لا يمثلهم بتاتاً!! رغم علو كعبهم الوطني، وهذه من**

المفارقات الغريبة! أنهم يحبون بلدهم ونيله وزرعه ونسيمه، ولا يحبون نظامهم السياسي! وهو لا يحبهم كذلك، ولذلك خيره ونماؤه للأعداء......!!
وأتذكر هنا حديث صحيح مسلم الذي قال فيه سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام.. (وشرار أئمتكم الذين تلعنونَهم ويلعنونكم)..!
والعجيب تأخر الثورة، وليس حدوثها!! لأنها موجودة من عشرات السنين، أعني مقدماتها ومسوغاتها، ولذلك كتب د.علاء الأسواني كتابه الشهير(لماذا لايثور المصريون)؟! لكن برغم ذلك كله، حينما تلحظ حالة البؤس المعيشي والاجتماعي المذعنة ، يجعلك تقرر أن لا تغيير حاصل، أو تجمهر ناجح!!
وقد كانت عملية التظاهر والاعتصامات والاحتجاجات قائمة على قدم وساق، وتعلمناها في الجامع الأزهر والفتح ، وجامعة القاهرة وعين شمس وغيرها، في الأزمات القانونية والنقابية في البلد ، لاسيما عند نقابة الصحفيين، في شارع عبد الخالق ثروت، الذي لو سمي (شارع المظاهرات) والاحتجاجات، لكان أليق به !
فلا يكاد يمر شهر بلا أزمة ، أو أزمات تتداعى لها القيادات الشعبية والنقابية، ورجالات القانون والفكر من المعارضة وغيرهم ، حيث تدعو إلى تحرك ميداني، وكذلك حيث مآسي الأمة، ولا سيما قضية فلسطين يهب لها الشباب ، وتعجب من تعاطف الشعب الغلبان (المسكين)!! وفُجر نظامه وقبحه، الذي شارك في قتل أهالي غزة، قبل سنتين !!
لقد كاد الجامع الأزهر أن ينشق من قعره، من عظم وقع الزلزلة الشعبية، التي هدّت أركان الجامع، وأرعبت جنود مبارك الاستخباراتية، وأزلامه الرابضين عند الأبواب ...
(بالروح.. والدم نفديك .. ياغزة) !! وتتعالى الأصوات........!!
ورددوا : (واحد ، اثنين ..... الجيش المصري فين) !!

ولكن لاحياة لمن تنادي! ، نظام بلغ الثمالة في العمالة، ولا يريد أن يتزحزح من على هامات المصريين، ورضي بتقزيم دور البلد الإسلامي والإقليمي!!! بل إن صحيفة مصرية، قد لخصت فترة حكم مبارك، وأنه لايعدو سوى مكتب (**إنمائي ودعائي للعلاقات العربية الصهيوصليبية)،** وزادت على ذلك بقولها في ذكر منجزات القادة المصريين:

(**أن عبدالناصر بنى السد العالي، وحمى أفريقيا ، والسادات أنعش الاقتصاد ، وحقق نصر اكتوبر ، الذي هو العاشر من رمضان ، ونظام مبارك حافظ كل المحافظة ، وسعى بدماء عروقه، لصيانة معاهدة السلام مع الأمريكان والصهاينة**)

فهذا هو المنجز الوحيد في حس مثقفي مصر !!!!

هذا إذا اعتبرناه منجزاً ، وإلا فإن أكثرهم يعده خيانة وفجورا لا حد له والله المستعان... وإن كان فئة من البسطاء، يُخدع بذلك، ويزعم أنه جنبهم الحرب!! وقد كان الاعلام الرسمي المصري يروج لذلك كثيرا، وأن الرجل إمام السلام والتعايش..ومهما يكن من أخطاء، فيجب حفظ ذلك له...!!

كان كل ذلك يتم في مصر، أعني صورة المظاهرات والمسيرات، ولكن لفرط القبضة الأمنية، والسطوة الحديدية ، فغالباً ما يتم إحهاض توجههم ، وحصارهم في نطاق ضيق، يكتفون فيه بالصراخ المدوي ، والشعارات غير المثمرة، وتسجيل موقف شعبي وإعلامي !!

ومما يؤكد حالة الانفصام بين الحاكم والمحكوم هنا، تعمد تزوير الانتخابات الأخيرة، بكل وقاحة وقمعية، والسماح للمهندس أحمد عز بإدارتها، حتى أسقط مستقلين، لا علاقة لهم بالعمل الإسلامي، أمثال الصحفيين: حمدين صباحي، ومصطفى بكري!! وهذا شئ عجيب.. حتى اكتسحها الحزب الوطني بنسبة عالية قدرت بـ 98% ، وقد قيل إنه (**عرّاب ملف التوريث)** لجمال مبارك، ويدعى (ملك الحديد)، وقد سيطر على مفاصل الدولة الاقتصادية والسياسية، فهذا مما أوغل صدور الشعب، وجعل لا قيمة لهم في الاختيار!!

وتذكر التقارير السرية أن العادلي صاحب الداخلية والفقي تبع الإعلام، قد تعهدا لسيدة مصر الأولى، بإنضاج مسلسل التوريث على الطريقة السورية، وتكفلا لها بذلك، لا سيما والابن المدلل، بدت تطلعاته السياسية، تعلو على السطح، وصنع تجمعات شبابية، لإغراء الأجيال الجديدة بجدوى طروحاته، ووزع هدايا هنا وهناك!!

وقد كانت جل المؤسسات الحكومية شبه متفقة على ذلك، إلا مؤسسة الجيش! فقد كانت صامتة، لا تعلق!! وصمتها كان حسنا كما يقول المفكر القومي محمد دياب، لأنهم لو بايعوا لفسدت الحياة السياسية في مصر، لا سيما وإغراء المال والبزنس يلوي أعناق الرجال كما يقال !!

ولشدة التخطيط المحكم للتوريث، كنت وغيري أتوقع حدوثه، وقلت لصديق _تعرفت عليه في الطائرة عام 2005م.. وزعم أنه نائب زعيم الوفد د . نعمان جمعة _: إنكم مقبولون على عزبة طويلة..! فرفض وأنكر..وقال هتولع مصر.. لو حصل ذلك !! وكان لقاء ممتعاً على متن الطائرة، استحسن تلاوتي للقرآن، فطلب المزيد، ثم ولجنا في الفكر السياسي...!

ولكن ما إن وقعت **(ثورة تونس البهيجة**) الا وأحس الشارع المصري بالانفراج ، ودنو ساعة التحرير ، والخروج من الظُلمة ، وسطوع الضياء الساحر ، فكانت الملهم الرئيسي لذلك التحرك ، وتلك الغضبة الشعبية ، التى لايطفئها إلا رحيل النظام ، وسقوط الجثمان الدكتاتوري الهَرِم ، الذي أذل المصريين ، وأهان كرامتهم ، **وحرمهم خيرهم، وفولهم البسيط** !! وأذكر أنني صليت الفجر ليلة هروب بن علي، فشعرت بسعادة طافحة، قلما أذوقها، وامتلأت بالاعتزاز.. فكان فجرا مميزا في حياتي، كالذي جاءه خبر مفرح، خالط دمه وعصبه..!

لايمكن لزائر أو سائح قادم إلى مصر ، أن يتجاوز الفول المصري البلدي ، المبثوث بكل ألوان البساطة والطيابة !!

فحينما تخلو مطاعم **(شارع جامعة الدول**) السياحي ، من الزحام ، تكتظ عربات الفول بجميع الطيف المصري ، أثرياء ، وفقراء ، وبسطاء ، وذوي عاهات وأناس بكرفتات ، وجلابيات،

وأم تحمل ولديها ، وشباب عاطل، والرجال والنساء ، يلتقون جميعاً، حول نكاهة ذلك الفول وأصالته ، وللظروف المعيشية الصعبة دورها البارز هنا !! وقد قلت في مقطوعة عن لذاذة مصر:

"مِصــرُ" لــذَّتْ بنيلِهــا الفـــــــــــــوّاحِ وبفولِهـــا المفضـــالِ والصــــــــــــــداحِ!

وبِمقهَى يختصِــــــــرُ الحيـــــــــــاةَ كأنه نبـــعُ الزهـــورِ ومُلتقَى الأرواحِ!

والمشــيُ في الطــرقِ العِتـــــاقِ وحــــــارةٍ حُشِــرت بآنــامٍ شَــدَوا وتلاحي!

مَنْ لَم يرَ هذي الأمــورَ وحُلوَها مــا زارَ "مِصــرَ" ولا أتى بفلاحِ!

خالطت أولئك جميعا ، وأكلت من فولهم الجميل، وسمعت شكاويهم ، ورأيت الاتوبيسات المكتظة ، والطوابير الطويلة ، والشغالات البئيسات ، والعمال المضطهدين، والموظفين المحقرين .... حيث لاخدمات متميزة ، ولا رواتب مجزية !! ولا حكومة حانية محبة !! رغم الموارد الهائلة، والدخل السياحي ، والاستثمار الأجنبي ، وشَهد قناة السويس، الذي طالما تحدث عنه المصريون بكل قهر وإحباط !! أين يذهب ؟ !!

ولكن .. وللأسف ، يذهب الى جيوب عصبة وعصابة (**واكلة البلد**) بالتعبير المصري الدارج ...!! أناس انعدمت ضمائرهم ، وجفت مراحمهم **(لايرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة) وبات خيرهم لأنفسهم، ولمصالحهم الذاتية !!**

لم يكن الفن المصري القديم -على مضاره - مبالغاً عندما صور قمة الثراء الفادح لدى الإقطاعيين والبشوات ، الذين حكموا مصر حِقبة من الدهر ، وعاثوا فساداً في أهليها، ومدى عمق الفجوة بينهم وبين الطبقة الكادحة المسحوقة، من غالبية المصريين حيث تشير الإحصائيات أن نحو 40% يعيشون تحت

خط الفقر!! وللتاكيد فإن الإقطاع لايزال موجودا في مصر، ولكن بصورة متمدنة قليلا!! فما صنعه جمال عبد الناصر قديما من محاولة إزالته ودعم الفقراء، لم يأت على أكثره!، واتساع رقعة الفساد في عهد الرئيس مبارك، وتزايد الجياع والبطالين، وتضخم الفاسدين والمردة، استنسخ تلك الحالة القديمة، ولكن بشكل حديث !!

زرتُ مصر عدة مرات ، وعشت فيها (خمس سنين) فرأيت فقراً لاحد له ، وحيفاً لانظير له !!! نعم الفقر في كل أرجاء العالم ، وفي مناطق الخليج العظيمة ، وفي بلادنا المملكة !! ولكن في مصر ، حديث فظيع ، وكلام مهول، وحكايات لاتنتهي !! يضاف إليه ، عصا الطغيان الغليظة ،وجلاجله القامعة والكاسحة!! فكم مات من فقراء ، واصطلى من مرضى ، ودُفن من سياسيين معارضين، وطُمس من مفكرين نابهين ؟ !!

ولو صححنا مقولتهم الشعبيــة (**ياما في السجن من مظاليم !!)** لكانت في مصر (**ياما في السجن من مقبورين**)!!

رغم ما يتمتع به شعبهم من الطيبة واللطافة ، وحب البلاد والأرض والدفاع عنها ، وهو متميز بوطنيته الأخاذة، وتضحيته النادرة ، التي لم يحفظها له نظامهم الفاسد الكاسد بإذن الله تعالى .

يكثر عندهم مظاهر الخير والفساد ، والفضيلة والشر، ولكنهم لايزالون محافظين على دينهم وعروبتهم ، ويتحركون لآلام المسلمين والأعارب .

حضرت (**انتخابات 2005م**) وتعمدت الصلاة في الجامع الأزهر ، لأرصد تحركات المعارضة آنذاك ، ورأيت مدى الحراك السياسي، المبذول من قبل التنظيمات الإسلامية وغيرها ، وحركة كفاية ، ذات المسمى الآسر والجميل، أيام زعامة المفكر المسيري رحمه الله ، ولكنها أُجهضت بعصا النظام الغليظة!! ومن الطريف أن أزلام النظام الحاكم كانوا يلاحقون المعارضة في كل الميادين والجوامع والجامعات ، فحينما حضروا الى الأزهر، وقد علّق المعارضون على بدلاتهم ورقة بيضاء ناصعة

مربعة ، وكتب عليها (**لا لمبارك**) !! فكتب الحزب الوطني ورقة بيضاء، بنفس الحجم واللون والنصاعة **(نعم لمبارك) !!**
صورت تلك المظاهرات ، ورصدتها ، وكنت أحس بتنامي السخط الشعبي المصري تجاه نظام مبارك ، وتوالت الأنكاد والأرزاء عليهم، حيث اتسعت اليد الباطشة ، وصرنا نسمع بقتلى في السجن ، بدم بارد ، وبلا تهمة أو محاكمة ، وغلت الأسعار والسلع ، واستشنع الفساد ، وتمت الموافقة في تلك الفترة على (**اتفاقية تصدير الغاز للصهاينة المحتلين**) وكانت حلقة في مسلسل العمالة المنبطح!!، وكثر الشر والخلل بكل ضروبه، ولا تزال الأوضاع المعيشية تراوح مكانها ، بل تفاقمت سوءً، وضَعَة، وبات الرغيف غاليا ، والفول أحيانا لايجده المواطن الغلبان ، وقد غلا سعره، وعزت جودته !!
ويكفي لتصديق ذلك أن تمشي في بعض شوارع مصر السياحية بالثوب الخليجي ، او البدلة الحسناء ، لترى أشكالا من البؤساء والنساء والأطفال، يطاردونك ويتمسحون بك !!!
فأي ذلة أوصلهم إليها نظام مبارك الزائل ؟!!!
اما **الدخولات الشهرية** فلا أدري، ولا أكاد أتصور عيش موظف، أو معلم مدرسة بمائة وثمانين جنيها، أو طبيب إخصائي بسبعمائة جنيه !!! وقس على ذلك سائر المهن والتوظيفات ... رواتب متردية، ومعيشة باهظة ، والبلد مخمل سياحياً ومتخم بالعمارات العملاقة، والفنادق البراقة، والشركات المستثمرة ...!! بل إنك تجد للنيل ضفتين متقاربتين، ضفة تأكل المشاوي، وضفة تأكل من الزبالات ، وتحمل الصحف والأكياس وبقايا المرطبات ، لتبيعها على المصانع المقصودة !!!!
إن قصة الفقر والظلم في مصر الحبيبة مكينة، ووالله إنك لتكتب فيها أضعاف مجلدات (كتاب الفنون) لابن عقيل الذي قيل إنه ثمانمائة مجلد ، وإذا كان الطلاب يضجرون من مبسوط السرخسي ذي العشرين مجلداً ، أو الفتح ذي المجلدات المنهكة، فإن واقع مصر المعيشي البائس، يستوفي كل تلك المجلدات

الوسيعة، ويكتب فيها تلك القصص والروايات المبكية والمضحكة، والمورثة الذهول والحيرة !!!
يمتن الحزب الوطني الحاكم على الشعب المصري، برخص الفول وبالخبز المدعّم!! والذي طالما تحدث المصريون عن رداءته، وعدم خلوه من البطحاء والتراب ....
ومع ذلك فتلحظ حول الخبز المدعم ما يلي :
أ – الطوابير الطويلة والمزاحمات.
ب – انتهاؤه بسرعة فائقة .
ج- لايُسمح لك بأكثر من عشرين رغيفا في اليوم .
وغالب المصريين يقولون لايكفي ليوم أو يومين.. لاسيمالأرباب الأسر والعيال !!

- **<u>البلد على كف عفريت ..!</u>**

هكذا يردد المصريون هذه العبارة من عقود ، وهي صحيحة ، فمصر كانت ولازالت مرشحة لانفجارات وتحولات خطيرة من أيام **(ثورة 52 م)** وماقبلها ، ولكن المعيشة أيام عبدالناصر وأنور السادات ، كانت جيدة كما يزعمون ، ولا يكادون يكررون أوجاعها!! بل يقولون إن فترة الحكم الملكي وأزمنة الإقطاع ، كانت رغيدة أحياناً على الفقراء المصريين والفلاحين ...

في كل قلب مصري ومصرية ، ثورة على الظلم والقمع والفقر والاستبداد ، والأثَرة والتجويع والإهانة ، ولكنها تحتاج الى موقد يبعثها من منامها الرابض، وسكونها الهامد !!.
ولذلــك اذا تحدثت معهم ، وعاشرتهم بان لك غضبهم الحانق ، واشمئزازهم الخانق ،ولكنهم صابرون صبر الجبال على حوادث الدهر ، وتغيرات الكون ، ويخافون على مستقبل أزواجهم وذرياتهم ....

- **<u>مثبّتات نظام مبارك القمعي</u>** :

هذا سؤال مهم ، ربما يردده كثيرون...؟ لماذا لم يسقط مبارك منذ زمن سحيق ؟! وكيف استطاع المكث 30 سنة.. دون التعرض حتى للانقلابات العسكرية التقليدية؟! كمعايش للأوضاع المصرية، ومطلع على خط فكر المصريين، ومعاشهم

الاجتماعي، تبين لي أن حكم مبارك لايحظى بأي دعم شعبي ولا ثقافي في مصر!! وإنما تثبت من جراء، نيابته للسادات، وظرف اغتياله الاستثنائي المرعب، وأمور خارجة عن أدبيات الأنظمة الحديثة ، والمسلك الشرعي والديموقراطي ، وهي كالتالي :

(1) **الاستيلاء السلطوي** : استطاع مبارك أن يفعل ما لايفعله عبدالناصر والسادات ، فقبض بقبضته الحديدية على كل المؤسسات العسكرية والأمنية والمدنية وسائر مفاصل الدولة ، كما يقول د يحيي الجمل، واشترى قادتها بالأموال والهدايا والمنح والإرهاب والتهديد ، وكمَّم أفواه الأحرار والشرفاء ، وسجن منهم من سجن....
وبعث رسالة الى الشارع المصري ، أنه هو رسول السلام والأمان ، حيث ربط بين وجوده ، وأمان مصر واستقرارها ، بل إنه في خطابه الأول الهزيل ، أبان أن شغله الراهن والمتحتم ، هو قضية الأمن، واستقرار مصر، وأن الثوار مخيرون بين بقائه ، أو اختيار (**مسلك الفوضى**) ، وهو من سرَّح المساجين والبلطجية ، لحرمان الناس رغد الأمان المبسوط ، في أنحاء الجمهورية !!!
وليعلم أن المجالس التي يُفترض أنها منتخبة سيطر عليها سيطرة تامة هو، وحزبه الوطني، واستطاع تدمير إراداتهم ، وجعلهم يرشحونه في كل رئاسة جديدة ، عبر الاستفتاء المزيف.. وفاق ذلك الوجود الملكي في الذهنية العربية ، نحو ثلاثين سنة !!

(2) **<u>الإرهاب النفسي</u>** : فبرغم الانفتاح الشكلي في ربوع الجمهورية، ووجود ملامح حرية الإعلام والتعبير ، وصحف المعارضة ، إلا أن الخوف من بطش النظام، يكاد يكون مركوزاً في النفسية المصرية ، لاسيما وهي محاصرة في رزقها ومعاشها ووظائفها .

ولإيصال (**رسالة الإرهاب والتخويف)** لسائر الشعب المصري (الغلبان) تتحرك عربات الأمن المركزي الضخمة الخضراء والزرقاء كل يوم مع حركة الناس ، واندفاعهم لمعاشهم ، وأصبحت أرى أنها باتت مألوفة عند الناس ، وقد كنت ابتداءً... أعتقد وجود مشكلة أو

مسيرة هناك ، لاسيما في الجامعات ، التى هي مَحَالُّ معرفة، ومراكز تنوير ، ولكن للأسف ، صار وجودها إجراءً وقائياً ورصدا لأي طارىء لاسيما أن النظام بوليسي غائر في القمع ، ومحكوم بقانون الطوارىء الشنيع، الذي يذكرك بطريقة إدارة ملوك أوروبا لشعوبهم في العصور الوسطى ، او بالصلَف الصليبي تجاه المسلمين إبان الحقبة الأندلسية الخضراء ، ومحاكم التفتيش اللعينة، ويذكرك بحكم الاتحاد السوفيتي الشيوعي للولايات الإسلامية المضطهدة، في ذاك الزمان الغابر ، ولا حول ولا قوة الا بالله !!!

وقد ظل الأمن على هذه الطريقة في مصر، رقابةً ومحاصرةً وتجسساً ، تراهم في الخبز والشاي والفول ، أو كما قيل :

والحكمُ شرطيٌ يسير وراءَنا

سراً فنكهةُ خبزِنا استجوابُ!!

وبرغم صدور (حكم قضائي) مؤخراً، يمنع وجود عربات الأمن المركزي في الجامعات والشوارع الرئيسية ، الا أن مؤسسة مبارك القمعية والرئاسية، لم تلتفت الى ذلك ، وداستهم بالتراب ، كما داست حكم القضاء الإداري ببطلان الانتخابات ونتائج مجلس الشعب الآثم المزور !! فقضاؤها الذي أنشأته لم تلتفت إلى حكمه ، ولم تحترم أداءه القانوني الوطني ؟؟؟! فكيف لنظام بهذه القمعية والظلامية ، أن يصمد أمام ثورة شبابية ، تحولت الى بركان شعبي ثائر ؟ !!

(3) **الصلَف العسكري** : المؤسسة الأمنية في مصر، تأمر وتنهى بأمر مبارك الذي جعلها سدنة لحكمه ، وراعية لقمعه ، ومكن لها في السرقات والاستعباد والاستعلاء والاستفزاز !!!! فالعسكري الحقير الضال في مصر ، وقد هانت رتبته وشكله ، يأكل ويركب ببلاش ، ويستذل أكثر الطبقات المحدودة والناس يرهبونه ، بل إنه قد يضرب من يشاء ، ويعتدي على من يشاء ، ويلفق تهماً بلا رقيب أومحاسبة!!

وأذكر هنا وعلى سبيل المثال من آلاف الأمثلة قصة (التلميذة سمية) والواقعة قبل أشهر من الثورة ، والتي قام بضربها ضابط تافه، بكل وقاحة عندما رفضت أن يفتش مستلزماتها الخاصة ، فركلها بالبسطار!! والواقعة مسجلــة علــى اليوتيوب ، وأذعتها قناة الجزيرة على برنامجها اليومي (**ماوراء الخبر**) وأن الضابط لم يُسأل ولم يحاسب ، او تقدم له رسالة تأنيب!! بل شارك في الحلقة لواء مجهم الوجه يدعى (علام) الذي هو أحد أعمدة هذا النظام البائد بإذن الله.

وأظنه هو المتهم في قتل الداعية الإخواني (كمال السنانيري) كما أوضحه بكل تأكيد ، المرشد العام الدكتور بديع في برنامج بلا حدود، المبثوث إبان الانتخابات المصرية الأخيرة والمزورة !!!!

فزعم هذا الضابط بأن هذا ليس مسلك الضباط المصريين ، ولم يعتذر للفتاة ولا للشعب المصري ، (الكحيان)!! وأن الضباط يؤدون عملهم بكل نزاهــة وإنصــاف وشفافيــة، متجاهلاً الشريط المبثوث على شاشة الجزيرة ؟ !!!!

ولا تنسَ الصورة القمعية ، والمستعلية لكل مشاهد يرى الحلقة !!

(4) **الكدح المعيشي** : تعمد نظام مبارك ، إفقار الناس فقراً لاحد له !! رواتب حكومية خاوية، وأعتقد أنها لم تكن تصرف إبان مصر الملكية بهذا الوهن القيمي ، ولا يمكن لفرد مصري أن يعيش بذلك المرتب ، لذلك يلجأ المواطن الى عمل آخر بعد الظهر أو العصر ، أو مساءً فلا يكاد ـ يرجع الى شقته البئيسة إلا وهو منهك ، ويكره السياسة وتطوراتها !!

وقد يضطر بعضهم الى السرقة ، والنصب ، وارتكاب الجرائم المالية وكثرة الرشوة ، فلا يكاد تدخل دائرة حكومية دون أن تدفع بخشيشاً، لإنهاء معاملتك حتى إنني صرت أدفعها لكل من هبَّ ودبَّ ، حتى إنني قدمتها لبعض الموقرين ، والذي يكرهها ، فردها عليَّ ، وهذا قليل ونادر ...

فاعتذرت، أنني صرت لا أفرق بين العفيف وسواه ، فالمعذرة !! فقبل اعتذاري ، والله المستعان .

ومن آثار الكدح المعيشي ، عمل الجميع كباراً وصغاراً ، حتى العجَزة والمكسحين والبنات يعملن بكل جرأة، وتجدهم شغالات ومتسولات وحمالات حقائب على الظهر!! واذكر أنني لما كنت في بعض المقاهي مرت علينا فتاة فاتنة ، وهي تعرض بضاعتها ، فاضطررت للشراء منها ، رحمةً بها ، وقلت لعن الله من ألجأها لذلك!! وخشيت عليها من الابتزاز السياحي المنتشر، فقال لي زميلي المصري : بالعكس ، هذه شريفة ، وتأكل من حلال ، لو أرادت طرق أخرى لسلكتها ... ولكنني لازلت محتاراً مغتاظاً من هذا الصنيع، ولا أطمأن لوضع الفتاه بهذا الشكل !!!!

لاسيمـا والاختلاط منشور، ويبعث في المرأة الجرأة والاسترجال وتجاوز الحدود ، مما يساعد في فتح آفاق الفتن والشهوات المغذاة بالسياحة المفتوحة، ووسائل الاعلام الماجن !! والعياذ بالله !!

(5) **التقطيع الإجتاعي:** نتج عن بعض الممارسات السابقة، تفكك الأسرة المصرية ، فلا مكان للولاء القبائلي تماماً، وأحيانا الأسري ، حيث لايستطيع الأب عيالة أبنائه ، فيصرفهم من صِغرهم للعمل ، والا فمصيرُهم الجوع والضنك، ولكن يوجد الولاء الحزبي، وهو محاصَر بالإرهاب والبطش الأمني الفظيع !!

(6) **الدعم الدولي والاقليمي:** فلم يجد الامريكان خيراً أو أبرك من هذا النظام، الذي لا يكاد يرد لهم طلبا، وأضحى حارسا عتيدا، مخلصا للصهاينة، يفضلهم على العرب والمسلمين والنيل والعروبة والفراعنة، والأزهر والجامعة العربية... !!

بل ورثها جل خيانته، وباتت مكتبا أمريكيا، لا يحل ولا يربط، ولا يضاد أو يتأخر!! فقدموا له كل الدعم المادي والمعنوي، وتغافلوا عن كل صور نبذ الديمقراطية، وملف حقوق الإنسان المنتهك ضد الناس، وسمحوا له بهذا البقاء الطويل، وبممارسة الكذب والغش والتزوير...! وأوصوا

حلفاءه بدعمه وتتويجه، وجعله مسارا جميلا، ولذيذا للتفاهمات العربية.!!

هل ثمة تنظيم أو حزب،أو ايدولوجية تحكم هذه الثورة وتدير دفتها ؟ أقول وبكل تأكيد وكمعايش للأوضاع هناك ،لا يوجد شىء من هذا النمط !!إلا أنها ثورة شبابية تكونت من واقع شبابي بائس ومحبط ، وشاعر بالإحباط ، أبرزهم تنظيم (حركة 6 ابريل) المؤسسة تقريبا عام (2008م) فهي المحرك الأول لمثل هذه الثورة والغضبة الشعبية ، إضافة الى عناصر الكترونية، أسهمت في التأجيج والإثارة ، وربما لم يتوقع مثل هذه النتائج الباهرة ، التي جعلت النظام يعترف بعد عدة أيام أنها (مطالب سياسية مشروعة) !! كالصفحة التي أنشأها الناشط(وائل غنيم) تحت مسمى(كلنا خالد سعيد)!! وهو شاب اسكندراني لقي مصرعه تحت التعذيب الأمني، وقد قلت في قصيدة:

كلنا خالد سعيدْ..

كلنا لسنا عبيدْ..!

لسنا داراً أو عقاراً، أو ركاماً من جَريدْ..!

لسنا زِقاً أو متاعاً، أو خيالات الشريدْ..!

لسنا بَهماً أو ضياعاً أو شراباً أو ثريدْ..

كلنا خالد سعيد..

كلنا لسنا عبيد..!!

بل أن أحد أزلام النظام في اليوم الأول وهو د. مصطفى الفقي، اعترف بهذه الثورة من أول أيامها ، وأثنى على الشباب ومطالبهم، ولكأنه يقرأ_على ضعف قراءته المعروفة_ سقوط نظام مبارك ، فهذه الدفقات الشبابية، والنشاط الالكتروني الهائل والأرواح الطامحة ، ما كان لها أن تنجح بعد توفيق الباري،

لولا العزيمة الصادقة ، والنجاح التونسي، وكيف أن الفجر دانٍ ، ولكن يحتاج إلى صبر ساعة ، وتضحية معينة ..

وقد وعى المصريون الرسالة التونسية، فكانت (مُلهمَهم الرئيسي) ، وباعثهم الروحي اللذيذ.. وكأنهم يقولون لسنا.. بأقل حالاً وقدراً من تونس ؟!

نجحوا ونحن سننجح ، بإذن الله تعالى . ....

وما حاول بعض أنصار النظام بثه في الأيام الأولى للتظاهر ، من أنهم جماعات شغب يقف وراءها بعض الإخوان المسلمين ، كذب محض ، ومحاولة لإسدال الستار على قبائحهم، واتخاذها ذريعة للتشويه ، والقمع للحركات الاسلامية المعادية للطواغيت......

حتى إن بعضهم واسى حسني مبارك ، بأنها جماعات شغب وتحريض، وستزول قريباً بماله ودعمه، وحاولوا يطمئنونه بكل وسائل الدعم ، وأنها ستموت قريبا......

ولكن بعد (**جمعة الغضب**) وحصول الالتحام الشعبي بالأمن المركزي ومحاولة صدهم ، فلم يتراجعوا ، بل لوحظ منهم تزايد عدد الشباب ، بل الأنام من كل الأطياف ، لاسيما مشاركات قوية لأهالي الاسكندرية والسويس ....

وقد أقول هنا وبكل استيثاق أن المد الاسلامي في الاسكندرية والسويس كان بارزا أكثر من القاهرة، التي حركها الشباب الزاهر والواعد، وبعض الشباب الترفيهي الذي يُعتبر جاريا وراء التوافه والمخدرت ، ويشعر بالتهميش من حكومة مستبدة!!

وحرَصت التنظيمات السياسة إحراج النظام به ، لاسيما تيار الإخوان وحركة كفاية ، وأما تنظيم الوفد والتجمع فهذه مع شرافة بعض منتسبيها، إلا أنها مخترقة مــن الحكومــة ويعتلي فيها صــوت إستخباراتي مباركي متين، لايمكن الفكاك منه !!

- **إفلاس النظام :** -

وقبل أن أجلّي إفلاس نظام مبارك ، وأنه لن يصمد رغم المثبتات المذكورة ، ومخالفتها لحركة التاريخ والسنن الإلهية في الكون والدول والأفراد ، أُذيع قبل قليل ، تنحي حسني مبارك ، وهو ماكنت أجزم به من حين اشتعال الثورة، وتجميعنا نحن السعوديين في (فندق الماريوت)، وأحس بتراقص القلم بين

أصابعي **، لا سيما وأنه قد ارتكب عدة أخطاء سعى بها إلى حتفه ونهايته ، وإليكموها كالتالي** :

(1) صدّ المتظاهرين بالنار والغازات والإبادة ، مما أدى الى تفاقم السخط الشعبي والشبابي ، وإدراك حتمية الدفاع عن الأنفس، والطموح للتغيير.

(2) إخلاء الأمن من الأماكن العامة ، حتى البنوك والأسواق والممتلكات الحكومية الضخمة كالمتحف المصري ،وكانت فعله دنيئة ، تنبىء عن خسة النظام ، وعدم احترامه لبلده وحضارته ونيله وأهرامه وشعبه ، حيث أسلم البلد للفراغ الأمني الذي يولد الفوضى والجرائم ...!

(3) وزد على ذلك إطلاق سراح المساجين الجنائيين ، الذين عرفوا بالسطو والسرقات ومداهمة البيوت .

حتى إن السرقة والاعتداء على المحال التجارية ، لم تبدأ بعد منتصف الليل ، كما يتصور بعض المراقبين ، ولكنها بدأت من بعد صلاة العشاء ، حيث سمعنا صراخ المارة في (شارع عرابي) الشهير ، وصيحات النساء واقتحمت الشركات التجارية وكأننا في وضَح النهار، ولا قيمة لحركة الناس والسيارات الموجودة ، وسُرقت شركة (جي ام سي) وشركة (عمر افندي) والبنك التجاري الدولي في شارع جامعة الدول العربية ، ولما كانت الخطوط السعودية ملاصقة به أُحرقت ولا أدري ما سبب حرقها؟! هل هو بسبب موقف سياسي محدد ؟ أم أنها كانت حلماً لبئر نفطي مخبوء ؟ !

مع تأكيدي أنها لاتعدو سوى مكتب خطوط جوية للحجز والتأكيد ؟ !!

(4) إغلاق وسائل الاتصال كالانترنت وأشباهها وكأن الثورة الكترونية ، وليست ميدانية حتى أصبحت مصر (**معزولة عن العالم)** ، وخسرت الشركات والبنوك وتعطلت مصالح الناس.. وفُصل الجوال لمدة يوم ونصف تقريبا ، أما **(النت)** فدخلت الاسبوع تقريباً ، ولم يبق إلا (**الهاتف الثابت)** وأصبحت في حيرة من هذا القمع الأحمق، الذي يتعمد عزل بلد ، فوق ثمانين

مليون عن العالم ، ويتاجر بإضراره على حساب سلامة كرسيه المهترىء !!!

هــذه الأخطاء صعَّدت روح التظاهر والمسيرات ، وجعلت مصر تنفجر وتعلن **(جمعة الغضب التاريخية)** التي أجبرت النظام وسدنته ، أن يعترف بالحق الشرعي لهؤلاء ، ويغير لغة...

(جماعات الشغب.. مدفوعين من الخارج ... وراءهم التشدد الإسلامي ، وشماعة الإخوان المسلمين) !!!!!

بعد جمعة الغضب ، بل في ليلتها ، خرج علينا حسني مبارك بخطاب هزيل ، تأخر موعده ، وعم الفراغ الأمني والسياسي أرجاء البلاد، ولم يستطع أي مسئول أن يتحدث سوى رجل واحد، وتكلم من موقعه الشخصي ، وهو المدعو (الفقي) كما تقدم ، وخرج معترفاً بأنها ثورة ، وأنهم جيل جديد ، وشباب لهم حقوقهم المشروعة ، ولا يجوز بأي حال تعطيلها او استغفالها ؟! وبرغم أنه من رموز النظام وأصدقائه المقربين، وحظي بامتيازاته وعطاياه.. فهو لم يحابهِ، بل ألح عليه في البروز لحل المشكلة القائمة، وسد الفراغ السياسي للبلد، ومراعاة هؤلاء الشباب الجدد، والمزاهير الندية للوطن......

وطلع مبارك بخطاب باهت بائت، غير واع بالشباب، رغم ادعائه (الوعي فيه) بعد أن ضجَّ الناس وصاح بعض الصحفيين في الجزيرة.. أين الرئيس ؟ أين الحكومة؟ والمشير، والغفير.. ؟؟؟ لا أحد يجرؤ على الكلام!!

فماذا قال الرئيس مبارك ؟ !

- **الصورة الشكلية له :**

هدوء ، وتصنع للأناة ، يخفي معالم السخط والتذمر، وقرب النهاية البادية على وجهه ...

الإخوة المواطنون ....

أتحدث اليكم في ظرف دقيق، يفرض علينا جميعا وقفة جادة صادقة مع النفس... ! بكل ارتخاء وأناة ، وكأن الناس لم يحترقوا في ميدان التحرير، وتحرقت عربات الشرطة ، ومقرات الأمن في السويس، واتهم أطرافا بركوب موجة الاحتجاجات،

كعادة أي نظام بوليسي، وحذر من مخطط يستهدف البلاد..... !!
وكل محارب للإصلاح.. كذا ديدنه!!

- **الحلول المطروحة** :

حل حكومة نظيف ، وسماها استقالة !! وتعيين الجنرال شفيق ، وزير الطيران المدني السابق ... وقيل إنه حرقه بذلك!! ، وأمر عجيب آخر جدا ، هو مشاركة الجيش للشرطة..! في حفظ الأمن المبدد الآن !!

وهي خطوة تفجيرية للوضع ، توحي بأنه قرار متعمد منه في إحلال الفوضى، وجاء بالجيش لتطبيب الجراح فحسب ... ولكن بعد ماوعى الناس الرسالة...

وأنه يقول للشعب المصري :

أنا أو الفوضى العارمة ، التي تستبيح كل شىء، بما في ذلك مدخرات مصر ومتحفها، وتاريخها، وحضارها.... !! فليس في الخطاب ما يبهر سوى الاستديو والخلفية الملونة، ووزنية الأضواء، المشعرة للمطالع بالزعامة وهيبة النظام!!

تأمل كيف بلغ الاستبداد المتعمق في ذهنية الطاغية ، يدمر أمجاد بلده لأجل كرسي سيغادره قريبا ، صدق الله (**ولتجدنهم أحرص الناس على حياة**) !!

لقد كان حرص مبارك أعظم حرص تعلقي بمنصب كرسي الجمهورية، فاق به العرب والعجم والهنود الحمر والبلاشفة القدماء، وملوك اليابان والصينيين، حيث إنه لم يدرك عمق الغضبة الشعبية الثائرة، وأنها ثورة بلد بكامله.. لا يريده!!!! وقد ضاق به ثلاثين عاما ماحقة ساحقة!!

وفي صبيحة اليوم كان ثمة قراراً مطبوخاً، أتوقع ضلوع الإدارة الأمريكية فيه، وهي التي أجبرت مبارك ،وهو المهم لها قبل حل الحكومة السابقة ... وهو تعيين عمر سليمان نائبا له.. بعد ثلاثين سنة من الفراغ النيابي!!! يعين سليمان كحل طوارئ يخدم أمريكا والصهاينة عند اللزوم.. وهو ما عبروا عنه (**الانتقال السلمي للسلطة)!!** وعمر سليمان لمن لم يعرفه، هو رئيس المخابرات المصرية، وعراب المفاوضات العربية الصهيونية،

ومشكلة الانقسام الفلسطيني!! الذي تعمد النظام عدم حلها...!
إلا بما يرضي الامريكان !

ليلة الهلع :

حينما دعت التنظيمات الشبابية، لجمعة الغضب، هممت بالمتابعة لهم، لأن كل عاقل، هو من أنصار الاحتجاج السلمي على كل الطغيان والظلمة، ويعد ذلك **(حلاً إسلامياً سلفياً) من صميم الفكر السلفي المستنير، وليس المبدل أو السخيف،** الذي للأسف لا يزال ينحني للظلمة، إلى أبد الآباد.. ويرفض حتى مجرد (**النصيحة الباردة) لهم!!**

بل حرصوا على إخفاء أحاديث الإنكار والإصلاح **وحديث (سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله).**

أخرجه الحاكم والطبراني في الأوسط وهو صحيح ، وأخرجه أصحاب السنن بلفظ **(أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)** !!

فهذا الحديث أخفاه ودفنه أبواق السلطان ، وتلامذة (بلعام بن باعوراء) ، ومنظرو الفكر الجامي التالف -كما يسميهم البعض- ، الذي يستمسك بالسلفية ، ظلما وزورا !! ولكن كما قال بعض الكتاب (وسلفيةٍ ابتدعوها) !!

ولم يُسِء للسلفية مذهب ، أو طريقة كإساءة هؤلاء الممسوخين!! بل إساءاتهم تضاهي إساءات بعض المبتدعة في الكيان العقائدي الإسلامي ، وقد تفوقهم والعياذ بالله!!

بل صدق فيهم مقولة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بعض المبتدعة:

(**لا الإسلام نصروا ، ولا الأعداء كسروا) !!**

وهــم من لخص فيهم مقصد منهجهم، الشيخ المحدث العلوان فك الله أسره ، **(مرجئة مع الحكام، خوارج مع الناس والعلماء) !!**

ونظمها بعضهم شعراً::

وفيهمُ قد دبَّجَ العلوانُ مقولةً سارت بها الركبانُ
مرجئةُ الولاةِ والحكامِ خوارجُ الأعلام والأنامِ !!
وفيهم قد قال د. يوسف أبو هلالة شاعر الدعوة الإسلامية :
مِنْ ركنِ أمريكا إذا زُلزلوا يأوونَ في الكفر إلى موئلِ
ومن ولاءِ الله فرّوا إلى ولاءِ بعض العلية الرذلِ
جميعهم لم يبق من وزنِهم إلا بقايا السوسِ في المنخلِ!!

وللشيخ أبي اليمان الأثري منظومة متعمقة، في فضح ، وكشف عوارهم الفكري والاستدلالي .

ولبعض الشيوخ، محاضرة في بحر الانترنت اسمها **(أصول مذهب الجامية) أتوقع رفعها على اليوتيوب .**

ولذلك يرى أهل التحقيق أن لايلتفت الى كلام المرجفين ، والمبدلين ، كمحرم المظاهرات والمتآمر على تداعياتها ، فإنها خطيرة كبعض المفتين، والشيخ محمد حسان.. للأسف الشديد ، رغم شعبيته الجميلة في مصر، فبدلا من أن يثبت هؤلاء الشباب، ويكون حادي الجموع في التحرير!!

يبكي على وضع مصر، وما آلت إليه الأمور ، ولم يقل ياظالم كف عنا ظلمك، وأرح هؤلاء الشباب، واترك المجال لسواك.... !!

ولما انتصرت الثورة أدرك فضل الجهاد السلمي الشبابي!!!

فاعتلا موجة الثورة وكذلك بعض الشيوخ ، مكث فوق الساعة في قناة المجد، يقرر حرمة المظاهرات ، ثم يأتيه سؤال ، يجعله ينسف ما قرره ، وهو أن يستجيب مبارك لمطالب الشباب ، بالتنحي!!

فكأنه مساق فطري وعقلي في نفسية هذا الشيخ ، يفند كل ماقاله آنفا ، وهو لايعتقده ، مما يدل على أن بعض هؤلاء

يتكلمون بخلاف فطرتهم، وليس بالمنطق والعدل المعروف
(ستُكتب شهادتهم ويسألون) !!
وأحيي هنا مشيخة الأزهر وعلماءه المستقلين عن السلطة البائرة، وأكابر المفكرين كعمارة وهيكل والبشري وأبو الفتوح والبلتاجي، والشيخ فوزي السعيد ومحمد عبد المقصود ، وقنديل وصفوت حجازي ، والشيخ المحلاوي وآلاف آخرين، حضّوا الشباب على الصمود والدفع ببسالة وعدم الرحيل ، حتى يرحل الرحيل الحقيقي ، والبلاء المسيطر القائم على البلاد والعباد، بل قال الشيخ المحلاوي المصطتدم مع الرئيس السادات قديما، في جمعة التنحي: اثبتوا أيها الناس، إنكم تخلعون فرعونا عظيما....! رغم أن مبارك داعب عواطف الناس بخطابه الثاني، وحزنهم، وأذكر أنني أشفقت من كلماته، وتأملت كيف ضعف العبد، وأن الله يعز من يشاء، ويذل من يشاء، حتى تأثر غالب المصريين بكلامه المحزن، الذي يقطع القلب...كما يقول إخواننا المصريون..! وقد بدا مهزوما منكسرا مستجديا شعبه، مدافعا عن نفسه وتاريخه...

إن هذا الوطن وطني كما هو وطنكم..!
إن حسني مبارك يعتز بما قضاه من سنين طويلة..!
فيه عشت.. وحاربت من أجله.. وعلى أرضه أموت..!
وسيحكم التاريخ علي وعلى غيري بما لنا أوعلينا.. !!
إن مصر هي الخالدة أبدا..، والأشخاص زائلون..!

وأستغرب تصريحات أستاذ فاضل ، ولازلت أعده من بسلاء المرحلة الراهنة، تجاه التغريبيين والمنافقين وهو الشيخ الدكتور محمد السعيدي الذي كتب مقالا بعنوان (**لا تخونوا الأمة باسم الحرية**) وأساء لنفسه ولعلمه الرصين.. بهذا المقال الذي جسد فيه نظرية المؤآمرة، بلا دليل قائم وتخوف فيه من مستقبل مصر، وما قد تؤول إليه التطورات ، متجاهلا طغيان النظام المصري ، ومؤكداً عدم معرفته واطلاعه!! ومما جاء فيه " ثم لم يسأل أحدهم نفسه كيف خرجت هذه الحشود وكيف تنظمت , هل كان ذلك كله بطريقة تلقائية- أيُعقل هذا ؟ أنها جاءت من تلقاء الشعب المتظاهر وحده , أم أن هناك قيادات

خفية تدفع الناس وتؤطرهم وتنظمهم دون أن تظهر أسماؤهم على الساحة الإعلامية , ثم لماذا لم تظهر أسماؤهم ولماذا لا يعلنون عن أنفسهم ".**و**كأنه يقول ليس في الحياة سنن على التغيير ، وأن البشر ينتظرون فرج الله ، ولا يستبقون الأحداث !!! أو يستغلون الفرصة التاريخة المهداة لهم !!

وأرى هنا بكل وضوح سَداد مقال د. الأحمري (**لاتخونوا الأمة باسم الدين)! ومما جاء فيه"الشارع العربي الإسلامي جدد الدين والكرامة ويطارد المنافقين والمجرمين. ليس لنا أن نزايد على جهد وعمل المصريين الرائع وثورتهم المباركة، بل واجب كل حر تأييدها، والتشهير بالذين يحاولون سرقتها، لصالح من يعملون لتغيير الوجوه وإبقاء السياسات، إنها معركة مصر مع التبعية، ومع الهوان ومع الخذلان، إنها معركة أمة تريد الحياة ويريدون لها الموت. وقال "أي شيخ يخذل الأمة ويتولى يوم الزحف ويغدر بأمته في معركتها، ويأمر بإسلام الأمة رقابها ومصيرها لمن عرفوا سوء حاله في كل شيء. باسم الإسلام يهدمونه ويذلون شعبه، هذا هو الفهم الذي يجعل الدين أفيونا للشعوب."**

وهذا المقال مع قصره هو بعنوان رسالة إلى مسار فقهي ديني ، خلط وخبط في هذه الأحداث لحماية الطاغوت ، والنظم المستبدة .!!

بل ردد بعضهم مقوله (إمام غَشوم.. ولا فتنة تدوم) !!

متجاهلا البعد السلمي لمظاهرات (تونس ومصر) وأنها نجحت نجاحاً باهراً ، فاق كل التوقعات والأراجيف التلفية المعلبة والمبدلة .

والمقصود أنني صليت في بعض المساجد ، التي ربما تحصل فيها الدعوة لمثل ذلك (الاحتجاج السلمي) ، وبالفعل خطب

الشيخ الغيور خطبة (عصماء عظيمة) دعا فيها الى حق التعبير السلمي ، وأيد الشباب المجتمعين للغضب على تردي الأحوال [1] وخاطب رئيس الوزراء ، وضباط الشرطة بتفهم أوضاع هؤلاء ومطالبهم ، وحذَّر المتظاهرين ، وأكد على سلمية التحرك ، وحرمة التخريب ، والشعارات غير الشرعية والحضارية !!
وزاد على ذلك بأن هؤلاء أبناء مصر الحقيقيين ، وأنهم ليسوا بمجرمين ولا مخربين ولا مدفوعين من الخارج !!!!
وقنت بنا في صلاة الجمعة ، قنوتا مؤثراً ، أسيفاً مهيباً مشفقا على وضع مصر المتفاقم !حتى خالطتني الرهبة!!
خرجنا بعد الصلاة ، وهممنا بالتوجه إلى ساحة الحدث، لنشهد تلك المظاهرات ، ولكنني أحجمت بسبب وجود الأولاد الحِراص على رفقتي في كل مكان ، وقرأت في وجوه الطرقات تأزم الوضع ، وأنه سينتهي الى مسارات لاحدَّ لها ، فآثرت الجلوس في بعض الحدائق القريبة ، وقراءة الصحف اليومية، وترقب تجدد الأحداث.
وفي ستة اكتوبر ، لم نستطع الوصول إليها ، بسبب رهبة الموقف ، ووصلت الزحمة إلى شارع جامعة الدول وأحمد عرابي !!!
دخل الليل ، والناس يذكرون مصادمات عنيفة..
ابتدأ بها رجال الشرطة القمعيون في التحرير ، وفي مدينة الاسكندرية والسويس ....حيث كانت طلائع الشهداء...
عدنا لمشاهدة الجزيرة في المنزل ، وترقب تطورات الأحداث وما ستئول إليه وكنت أستشرف نجاح المصريين بكل فأل ويقين وسرور ، وأرى بوارق الفجر المنير......
وبعد صلاة العشاء ، وحينما رفع وزير الداخلية حبيب العدلي الأمن من الطرقات ، بسبب التصادم المدني الكائن في التحرير ، ومحاولة منهم لإرهاب الناس، وترويعهم وكأنه يقول: عودوا الى .. مساكنكم ومصالحكم !!!!

[1] ومع إشادتي بهذا الخطيب أشيد بوقفه جل علماء مصر ومثقفيهم ومنظري الفكر الإسلامي والقومي الذي لم يرهبهم ذهاب الأمن، وصمدوا كخط إعلامي وتحريضي لشباب الثورة .

ولفك منظومة التظاهر الملتحمة في الميدان ، وعلى إثر ذلك بدأت السرقات في حارتنا، وفي البنوك القريبة ، وسمعنا أجراس الإنذار للشركات والمصارف وهب شباب الحارة لحماية الأحياء، وتسلحوا بالفؤوس والخُشُب والمواصير، وعاش الناس ليلة هلع عصيبة..

وزاد من هلعنا وجود الصغار ، الذين يرتعبون قليلاً ثم يعودون ويضحكون حين مشاهدة الجزيرة، ومعركة كبري قصر النيل، والنظر من النافذة !!

وشُكلت اللجان الشعبية نقاطاً للتفتيش، وترصد عصابات السجون والبلطجية ، الذين يتهم بهم حسني ووزير داخليته لفك التظاهر ، وترهيب الناس ، بطريقة انتحارية غائرة في الخبث والتحدي الاستبدادي.. وكأنه يقول ، أنا أو الفوضى ، أو جمال ، والحياة الطيبة ؟ !!!

حيث إنه بهذه الأحداث ، جزم الناس بوفاة جمال مبارك وانتهاء مايسمى (بملف التوريث) بل تم قبره في مدافن السيدة زينب رحمها الله .!!!!!

ومع ترتيبات أهل الحي ، إلا أن الخوف لم يزل باقياً...

ونستيقظ ، ونسمع رصاصات الجيش التي يرسلها للتخويف رغم وجوده الهادئ، الا أنه لم يقم بالرسالة الأمنية التى كان يقوم رجال الشرطة إبان الفترة السابقة .

وربما كانت العيارات تلك، من بعض المجرمين المسلحين لمزيد من الإرهاب والترويع....

ومن الطريف المخيف، أنني سمعت صراخ بعض سكان العمارة، فظننت أنها مداهمة لهم من بعض المجرمين أو بعض البوابين ..... وسمعت صراخ امرأة ، فطليت ولم أفهم ماالذي يجري ، فأحكمت إغلاق الباب ، واستعديت بما معي من عصي واسياخ وسكاكين غليظة لأنني رب أسرة ، ومعي أفراخ.. يفزعون ويلعبون حسب الأحداث والله المستعان ...

شعور الفرح والحزن والهلع :

رغم ما أصابنا من هلع تلك الليلة ، **ليلة (جمعة الغضب)** إلا أنني كنت استنشق عبير الفرح الداخلي ، للتحرير المصري البهيج ، ولا أبوح به لبعض من حولي لاسيما الزوجة والأبناء ، بل أقول اصبروا ، والسفارة ستُحسن التصرف معنا ، والموت حق.. سيأتي هنا أو هناك ...
أصبحت يوم السبت ، سألت أحد البوابين عن الصراخ الكائن البارحة ، الذي اهتز صوته في العمارة فقال لي : دي سِت خافت على جوزها ، عاوز ينزل وهيه بتمنعه حتى تدخل الجيران ..... !! لم أصدق ذلك..
لكن ضحكت هههههه !!! بعد أن كنت متوجساً ، وخائفا مما حصل !!.
أذن المؤذن للفجر وخرج بعضهم للصلاة ، ولم أستطع الخروج بسبب هلع تلك الليلة ، وصليت في الشقة.. ونظرت من الشُرفة ، والناس يتحركون ، والاتوبيسات أخذت أصواتها تنطلق في كل مكان، والدوائر القريبة بجانبنا تفتح وكأن شيئا لم يحدث البارحة العصيبة ، وانذهلت من رباطة جأش المصريين وكأن هذه المشاهد والقلاقل، قد اعتادوا عليها، تأخرت صحف عديدة وما أتى كان سخيفاً مخيفاً ..وبقيت الأهرام والأخبار على سخافتها.. وتحذير الناس من جماعات الشعب ......!!!

أخذت (المصري اليوم) كالعادة ، وقد كتبت (إنذار.. أنقذوا مصر قبل...؟)

كان (الكشك) قليلاً بالجرائد، والناس متوجسون رغم خروجهم إلى أعمالهم الطبيعية ، سيارات الجيش منتشرة في جامعة الدول والشوارع الرئيسية والناس يحتفون بهم .... ، ويتصورون معهم وقد كتب على بعضها **(يسقط مبارك)!!** البنك القريب منا ، لم يعد عليه حراسة ولا مباحث ، رغم اكتنازه للملايين !!! الجيش حركته بطيئة !!

وجلست في الحديقة القريبة.. أسجل قصائد الثورة وأفكار التغيير ، ولا تزال عندي أضعاف هذا الكلام.. ومزيد من الأخبار الدقيقة عن الواقع المصري ولكن لتزاحم الأشغال، وكثرة العوائق ، أكتفي بذلك لعلي أعود لاحقاً....

وهنا نسيت أن أشيد بدور السفارة السعودية في تجميعنا في فندق (الماريوت) وترحيلنا إلى بلادنا ، ورغم اللخبطة الإدارية الواقعة ابتداء .. السفير ناظر وكلامه بفجاجة مع شاب سعودي.. وطالبة كذلك في قسم النساء مما يبين عن عدم تقديره لمسئوليته ، وتعامل بكل استعلاء وصفاقة مع أناس خائفين بأسرهم وصغارهم وقواريرهم!!

وقد سيقت حملة هذه الأيام لإسقاطه ، ومنها مقاطع يوتيوب لكشفه، وبيان عدم وفائه بواجبات السفير ...!!

وشخص آخر من السفارة أظنه مدير مكتبه ، يقول: لسنا كالكويت ولا الإمارات !!

يعني كأنه بالبلدي يقول ... النفط مخلّص .... والمال شحيح.. !! والتمثيل الدبلوماسي في مصر محدود!! والمملكة تحتضر اقتصاديا!! ، فاصبروا علينا .!!!! وهذا لا يكاد يصدقه عاقل! وهو الذي قالته المرأة السعودية للسفير..

(**المملكة لها إمكانات جبارة)** ! فرد الدكتور ناظر: شوفي حلول انتِ!!!

فأين سرعة الترحيل ، وسعة الفنادق، وحل الأزمة ؟ !

المهم راقبت ذلك للوهلة الأولى ،ثم تنحيت على طاولة خاصة ،ولم أبحث عن وساطة ومعرفة كما صنع آخرون، واهتمام بعض موظفي السفارة بأقاربهم!! رغم وجود بنت مريضة لدي، ألمحت لبعضهم، فلم يعِ، وقد كان التخبط واضحا، وكنت موقناً بالفرج، ودعوت بكوب الشاي ، وجلست أستنشق نسمات الحرية ، ومزاهير انتصار الإرادات الشعبية ....

والله الموفق ،،

وقد كنا وصلنا إلى الفندق الساعة التاسعة صباحا من يوم الأحد 27 صفر 1432 ه، الموافق ثلاثين يناير2011م ، وقد كان وصولنا عجيبا خاطفا مع الصعوبات المواجهة، حيث نزلت الرواتب قبلها بيومين، ولم يكن معي شئ البتة، واليوم السابق لاحظنا الصرافات مكسرة، ولا أملك شيئاً!!

فظللت باحثا حتى وجدت صرافا معزولاً في خط فرعي من شارع جامعة الدول فسحبت منه 500 جنيه ، ولم يكن عليه زحام..

لم أتوقع انفجار الوضع، وصيرورتنا للهروب، وفي الظهر اشتد التوافد على التحرير، فأعلنت حالة الطوارئ، واضطرب الناس، فذهبت اشتريت كمية من الخبز والسكر والأرز والحليب، لأنني توقعت أسوأ الاحتمالات! ولم يتبق من المال إلا 300 جنيه! جلست أترقب.. دخل المساء، تأهبت للأشرار، كان يوم السبت ليلاً صاخباً بالرعب، وطلقات الجيش، وتحس أنك أمام حرب مفتوحة في الشوارع.. اللهم استر.. تسلحنا بالدعاء والذكر.. الأبناء يضحكون ويرتعبون! يزن جاءته مثل الفرحة الشديدة، وبدا كمعلق على الأحداث... يردد وتحدث التاريخ بالتغيير.. الله اكبر... الله اكبر...!!

شئ مثير للذهول..أحاول إسكاته وهو عند الشرفة، فيضحك..

يظنون أنهم في مشهد تمثيلي!! وقد جعلت من كلماته تلك مطلعا لقصيدة لاحقاً:

يتحدَّثُ التاريخُ بالقوم الألى   **صنعوا الجلاءَ وأشلعوا التغييرا**

شيبٌ وفتيانٌ وصفُّ تلاحمٍ   **لن يُوقَفوا حتى يرَوا التنويرا**

وأسيد لما رأى معركة كبري قصر النيل، وتراشق المتظاهرين مع الشرطة، ورشهم بالماء، استحضر فلم الشهيد (عمر المختار) رحمه الله :
إنه يريد الجسر عرفنا حركته!! فضحكت والألم يعتصرني..!!
مشاهد مشتبكة بالضحك والحزن، والهدوء والرعب، ولا تدري مالصنيعة؟!! رجعت التليفونات بصعوبة، والهواتف الثابتة لم تقطع، وهي التي حدثت أهلينا بأنا لازلنا أحياء، والحمد لله على كل حال..
وفي صباح الأحد، ثمانية تقريبا اتصلت على أرقام ساخنة للسفارة، نشرتها قناة العربية، فسألته، أيش الوجهة؟! فقال: تريد تسافر تروح على فندق الماريوت، أو تنتظر، فقلت عندي أطفال، والأمر مخيف!
فقال: والله براحتك.. كان الأمر غامضا جدا، وغير واضح، وخشيت الاحتراب الداخلي، أو حصول حالة اللا دولة، فقررت الذهاب إلى الفندق..أين هو؟ قال : على طريق السويس.. لا أعرفه من قبل! المهم توكلت على الله.. واتصلت على الفندق، للتأكد من العنوان، فردوا مشكورين، ولم تكن حالة الاسترخاء بلغتهم...!
نزلت بالأولاد وحقيبتين خفيقتين، وتركت كل أوراقي وتراثي العلمي والشعري، واكتفيت بالمحمول، النجاء، النجاء..
وحملت حديدة عثرت عليها من بقايا مكانس الشقة، ولم أخبر أحدا بمغادرتي، صباحا بكل هدوء..حركة الاتوبيسات جيدة، والتكاسي قليلة، أوقفت اثنين فاعتذرا.. !! وكنت ليلتها اتصلت على سائق المدرسة فلم يرد، فعذرته بحصول حالة الاضطراب ... !
انظر في الشكل، فإن طاب وإلا فلا..فجاء شاب لا تدري ما حاله، وافق سريعا واشترط 70 جنيها، ولوقال أكثر لما رفضت!

فالوضع لا يسمح بالتأخر الزائد، بعض زملائنا راحوا للمطار مباشرة..
أما أنا فانضممت للسفارة، في الفندق والتشاور هناك..
وصلنا بحمد الله، بعد أن سألنا قليلا عن الطريق، وما إن دخلنا الفندق، وفتشت السيارة حتى شعرنا بالأمان، وأنزلنا حقائبنا، وتركت الحديدة التي حملتها للوقاية، للتاكسي ، والتي صارت بعد ذلك شكلا للسخرية والتندر من ابنتيّ رزان ولميس ..بابا.. يستفيد منها التاكسي.. يقاتل بها.. ليش ما تأخذها يا بابا.!!
فرأينا أبناء الوطن، فانشرحت صدورنا، فسجلنا أسماءنا، وقلنا نموت هنا معهم!! الاستقبال جيد، والخيار جدة أو الرياض..! فقلنا جدة، أقرب لأبها، وفرصة نعاين السيول الأخيرة!
أدخلونا لقاعة الإفطار، فوجدنا الناس قبلنا منشرحين، فخففت عنا، وانبسط الصغار، وبدا التخطيط للسفر..
ازدادت الأعداد، وضعفت الخدمة، واشتغلت (الواو)، وفوجئت بشباب من الأمس لم يسافروا، وناموهم في المطعم، رغم الجو الشاتي!! جلسنا ننتظر، والتحرير يسخن.. ويسخن، وبلغنا قدوم مشيخة من الأزهر لموآزرة الثوار.. وحركة الطائرات قليلة، والزحام في المطار كما يقال كظيظ..! بعد العصر ونحن نرتقب أحس الأبناء بالإجهاد، وقالوا نريد غرفة للراحة، فقلت: ما جئنا لنرتاح، لابد أن نركب بأي ثمن.. لو ذهبنا في هذا الجو المضطرب لن يسأل عنا أحد، لا سيما وقد بانت اللخبطة الإدارية.. رغم تسجيلهم الأسماء!!
المهم أننا انتظرنا وانتظرنا، حتى أحست السفارة بسخط الناس، فاشتدت حركة الطائرات، وقالوا بعد العاشرة مساء: لا تخافوا سيركب الجميع...
وبالفعل صعدنا إلى الطائرة الساعة 2 ليلاً، وقد أجهدنا إجهادا لا حد له، وكان صعودنا إلى الاتوبيسات المخصصة

عسيرا قليلا، حيث الاستعجال، وحملان العفش، والأطفال، والخوف المصاحب، وبكاء سليل الرضيع الذي لم يسكت حتى ركبنا الطائرة، أوقفتنا كمائن الجيش المصري، وفتشتنا بصرامة، في هدأة من الليل، والوجوم، والمشهد المخيف يخيم علينا، وتتوقع اعتداء أو قذيفة من هنا أو هناك..!
المهم وصلنا المطار، ولم يكن بعيدا، لكن فوجئت بخفة الرجل، وكأنه لا يوجد أحد أو سوانا!! هل سافر الناس كلهم؟!
واستطاعوا تخفيف الزحام الشديد الذي تنقله الفضائيات...!
اصطففنا للتسجيل، ولم يكن معنا إلا ورقة بيضاء مختومة بختم السفارة، والجواز فقط..! الموظفون قلة، وعليهم الكسل والكآبة..! تحس بالانهيار العام، والكل يخدمك بتضايق، وانت تحمل همَّ من معك..!!
وصعدنا للصالة المهيأة للسفر.. ولم يحضر الموظف المختص، وجدت امرأة واحدة، ورفضت البدء في التفتيش حتى يحضر الزميل الآخر، سكتنا ، البعض حاول يصنع مشكلة، بكاء سليل يتصاعد، أخرجونا للتفتيش، وامرأة حضرية تهدد: لو ما جاء الموظف .. والله ما يحصل لكم خير..!
ضحكت في نفسي.. وقلت هل هذا وقت التهديد؟!
لو طلبوا مالا لأعطيتهم..جاء الزميل المنتظر، واختفت عني بطاقات الطائرة، أقلب هنا وهناك..مشى الناس..وآخر يقول ابحث كويس، يمكن راحت هنا ولا هنا..معي حقيبة الجامعة..وضعتها وبدأت البحث وعثرت عليها.. وسليل المصري، لا تزال أناته تطربنا في ذاك الجو القاتم بالمناكد!!
ركبنا الطائرة تقريبا الساعة الثانية والنصف ليلاً، أو تزيد، خالطتنا الفرحة جميعا، كانت الرحلة ممتعة ومستعجلة، استبشر الجميع، والملاحون كانوا على قمة اللياقة الأدبية، ومدركين أوضاع الناس..

صعدت الطائرة للجو، فكأنما ولدنا من جديد..
وأحسسنا أننا أفلتنا من مصر الثورة والانهيار.. ووصلنا جدة قرابة الحادية عشرة تقريبا، فذقت نعمة الأمن، وأحسيت أنني أرشف أمناً وعصيرا، وألتهم نجاةً واستقرارا، ولا أظن الهرب يحمد إلا في مثل هذه المواقف...!
منظر جدة كان يحمل على السرور والبهجة، رغم دنو الظهر اللاذع، ووجود آثار السيول المحزنة، وأظنها الكارثة الثانية...!
قال الأولاد: نرتاح يا بابا قليلا..! فقلت: وقد بيّت المغادرة إلى محايل..!
تبغون السيول تجرفنا. !!بإذن الله ما نتعشى إلا في محائل، آنستي آسِرتي الجميلة...!!
تذكرت مكتبتي..والديّ..الرفقة..أصدقائي.. مشاريعي..الجو الساحر..أسرار تخالجني لا أستطيع تأخيرها....
لم تكن المعارضة قوية.. تاكسي للنقل الجماعي وهناك جيب نيسان جديد ..مع شاب مهذّب يسترزق الله..وبستمائة ريال .. وما حضر العِشاء إلا ونحن على الطعام، المعد سلفا من أهل الزوجة الكرام..والحمد لله على الأمن والنجاة....

السبت 9/3/1432 هـ

12/2/2011 م

مشهد التنحي..!

كانت لحظة تنحي مبارك، لحظة تاريخية، اختلط فيها البكاء بالفرح، فرح المصريون، وبكوا وشاركهم العالم فرحتهم،

وبكينا معهم، وأحسسنا أننا في حلم..لا نصدق زوال فرعون مريد، أذل مصر وأهان الأمة العربية، وفعل في الشعب الفلسطيني فعلته، وكان عراب الاستعمار الأمريكي الجديد...! ولم يفعل لمصر إلا الخزي والعار..! ولا زلت أتذكر جريمة حرب غزة... وقوله بكل أنفة واستعلاء...لن تفتح المعابر...!

بينما مشاعر العالم وضمير الأحرار، يناشده لإغاثة الشعب الجريح ودمه المسفوح..! فيأبى كل الدعوات، ويختار المعسكر العدائي الخياني للأمة وقضاياها...! حتى وفد الاتحاد العرب، حاصرهم وأدويتهم...لكأنه يقول:

ماذا يُريد أحبتي وأخلتي فأنا الوفيُّ لصاحبي شمعونِ؟!

تنحى مبارك فأحسست بأنوار السعادة تخالطني، لكأنني مصري اصطلى بناره وشناره، لا أستطيع توصيف تلك الفرحة الغامرة، التي ازدانت بأطايب الفواكه والزهور والعطور!! إنه نصر تاريخي للمستضعفين على المستكبرين، وعزة منيعة للفقراء على الأغنياء، وشِبع روحي للجياع على الظلمة والفاسدين، الذين سرقوا الأقوات والخيرات..وتركوا جل الشعب يعيش في العشوائيات والمقابر والحاويات.. وددت لو كنت في مصر وما عدت تلك العودة لأشاركهم فوزهم العظيم، وسعادتهم المنتشرة...أحسست أنهم أسعد شعوب الأوض وأشجعهم، حينما انتصر القوم المستضعفون، وأُذل المجرمون، فليس لهم مفر من عذاب الله وخزيه في الدنيا قبل الآخرة.. وتساءلت هل سينام أهل مصر بعد هذه الفرحة؟! لقد طار منامهم، وزُحزحت نكباؤهم، كل الغلابة والمساكين يضحكون ويستبشرون، كأن لم يعرفوا الشقاء، ولا عاينوا الفقر والقهر، الذي جثم عليهم ثلاثة عقود!! مبارك وعصبته إلى مزبلة التاريخ، وعاشت مصر حرة وأبية...

هنيئا لكل أم أسير.. ولكل أب جريح.. ولكل قلب كسير.. ولكل فقير أتعسوه وشردوه..!!
والمجد للشهداء.. كما علمنا التونسي.. المجد للشهداء.. المجد للشهداء..! وتحيا الحرية.. المجرم هرب.. القاتل هرب...!! يا شعبنا ياكبير، يا شعبنا يا سبع.. تنفسوا الحرية..!!

مكاسب الثورة المصرية

1-كسر جدار الخوف السياسي البوليسي، الذي جثم على قلوب الناس لمدة طويلة.

2- شعور المواطن العربي والمصري على الخصوص بالمنَعة والاعتزاز، وأنه قادر على خرق المستحيل، واستعادة الكرامة من جديد.

3- سقوط النظام البوليسي العسكري الشمولي، وأنه غير منسجم للحياة الجديدة، فضلا عن قدرته على تحقيق العدالة الاجتماعية.

4- قدرة الشعب العربي على التغيير، وإحداث العجائب، وصناعة من اللا شئ، شيئا ممتعا وفريدا.

5- أن المنهج السلمي بزخمه التجميعي والتثقيفي قادر على التغيير واسترداد الحقوق.

7- أن المسلك القمعي لا يصلح الأوضاع، بل يفاقمها، وخير معالجة هي الحوار وتفهم مطالبات الجماهير.

8- أن عاقبة الظلم وخيمة، وأن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، كما صح بذلك الحديث.

9- إنهاء نظام طاغوتي عنيد، قدم للغرب كل التسهيلات المدمرة لحياتنا وحضارتنا وديننا ومصالحنا، واكتفى هو بتكديس أمواله، التي قيل إنها قاربت 70 مليار. حتى إنهم هتفوا في التحرير(حسني مبارك يا طيار...جبت منين سبعين مليار) !!

10- وثمرة ذلك كسر جناح أمريكي مهم في المنطقة، وهذا كاف في الفرحة الكبرى، فسقوط مبارك سقوط لأمريكا وقيمها وسياستها..كما قيل:

سَقطَ العميلُ فأسقِطت "أمريكا" — وأراك ربُّكَ مَوعظاً يَهديكا!

وأراكَ دفقاً للشعوبِ وهبّةً — بَلْ ثورةً تصلي العِدا وتُريكا

حِمَمُ الظلامِ تناثرت وتكسَّرت — وأطَلَّ نورٌ باسمٌ يرويكا

هذي الشعوب فيالقٌ من غضبةٍ — وجَحَافلٌ إنْ بُعثِرت تقليكا

ولذلك لا يمكن وصف الفرحة الطاغية، لدى كل عاقل، من ذهاب هذا النظام، الذي سقوطه هو خيبة كبرى لأمريكا، وهزيمة لها في كيانها وفكرها....!

11- تجديد البعد الإسلامي والعربي لمصر الكنانة، لا سيما ومناظر الصلوات في التحرير، ورشهم بالمياه، تذكرك بمشاهد الحرم الشريف، الصفوف متراصة وملتحمة، ومتدانية ومتراحمة، تبعث على العزة والافتخار، وأعتقد أنها كانت صوررة مرعبة، لم يدرك الغرب خطرها، إلا بعد نجاح الثورة والدخول في العملية السياسية..!
وتناقل الناس عن شركائهم في الوطن المسيحيين، كيف وقفوا للحماية والحراسة، فكانت صورة إنسانية حضارية، مجتمعية راقية.

أسرار القوة الشعبية

في الروح المصرية

تأكد أنه لطالما استُهين بالشعوب ، وقوتها وأُهمل زخَمها ونضالها ، وحُجِّمت منَعَتُها وإرادتها من الجم الغفير من الخلق، **لاسيما من جهتين :** -
جهة الساسة والحكام ، التي تعاملهم كالبهائم ، وتسوقهم بالعصا البوليسية إلى مراميها وأهدافها ، بحجة الطاعة الشرعية والقانونية ، وحفظ النظام االعام ، ودفع الفوضى والقلاقل!! وأخيراً مكافحة الإرهاب ...!
والجهة الثانية : من طرف النخبة والمثقفين، الذين كانوا يراهنون على حملة الشهادات بل البارعين منهم ، فحسب حتى يجعلوه نخبويا مثلهم، أو يصبح مفكراً نادراً، فيستعجم كلامه، وتخفى

مناشطه ، وتتسع الفجوة بينه وبين الناس، الذين هم **(القوى الشعبية التغييرية الخفية**) ! . وكانت تلكم النخب الخلّص ، لاتراهن على الثورات العارمة ، والغضبات الزاحفة ، ربما لأسباب عدة ، نحو قبضة النظام السلطوي، وتلوث الثقافة المحلية، وانشغال الناس بلقمة العيش ، واعتقاد أن الشعوب جبانة خانعة ، مستلبة، لاحراك لها ولا قوام !! ، وإن كان ثمة نخب كانت تشتغل على العملية التثقيفية لهذه الجماهير ، وحقوقها الذاتية، والمعيشية، والاجتماعية والقانونية، إلى أن أصبحت تمتلك الأرضية للتغيير، وواعية ومستعدة لكل تحرك جماهيري سلمي، من شأنه أن يوقف الظلم ، والتخلف ويدفع بحركة الحريات ، والتنمية والبناء من جديد .

لكنني هنا أقصد شرائح مثقفة، تمتلك وعياً جيداً، أهملت الشعوب من خطابها، وسعت إلى عزل عقولها وهمومها عن هموم الشعوب المغلوبة على أمرها ، مع ان إحدى مفردات التغيير ، وهي الكثرة والتكاثر موجودة ظاهرة ، في تلك الشعوب المهملة

فأحب هنا أن أنبه على (**فاعلية الاهتمام بالشعوب)** ، وعدم إهمالها ، من الخطاب الإصلاحي ، لأن الثورات القائمة الآن في الوطن العربي ، ونجحت في تونس ومصر، تجاوزت أطر المعارضات التقليدية ، التي طالما لعبت بها الحكومات واستدرجتها أو اخترقتها عبر عناصرها المفسدة ، ولم تعد تكمن في الواقع الميداني، وانتهى دورها في (**لوحة شرفية**) ، على المقر ، أو صحيفة عديمة الأثر، أو مهرجان تهريجي، بلا إصلاح، أو تحرك ميداني سريع !!

إذن لابد (**للنخبة المثقفة**) من وعي هذه القضية، والعودة بجوانب التأثير في خطابهم إلى الشعوب المتهمة بالخنوع أو الضعف ، أو الغياب والضلالة!! وفي دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للعرب في المواسم، معنى آخر يتجاوز مجرد إقناع السادة بطرحه إلى أن يلج في مشاعر الناس والزائرين ، وكذلك مناداته على الصفا(**واصباحاه)**

دلالة صريحة على الهم الشعبي ، والاستنفار الجماهيري، لأن الإصلاح والدعوة لايجوز اخترالها في أشخاص ، أو أحزاب ، أو منتدى ، بلا مماسة ميدانية ، أو تنوير جماهيري!!

ولهذا يأتي اهتمامنا هنا، لينصب على فضل الشعوب المسلمة الخاملة ، إذا غُذِيت ووُجّهت ، ويبقى المسار التوجيهي والميداني هو القنطرة الموصلة، بين المثقف والناس، فلا ابتعاد ولا انفصال ، حتى تنضج الثمرة ، ويحسن التحرك، ويبدأ التغيير .

ولقد عانت الشعوب العربية ، من أحقاب الظلم الطاغي ، وأزمنة التنكيل الجاثم وضياع الحقوق والأنفاس والحريات ، وحُكِمت فردياً ، ولم تحكم شعبياً ، ودُجنت أمنياً، ولم تدجن معرفياً وثقافياً، إلى أن انتهى بها الوضع، إلى التحرك والزلزلة والانفجار على نظامين عَصيّين عتيّين ، وهما النظام التونسي القامع للتدين ، والنظام المصري المتفنن في التنكيل والمطاردة ، مع فنون أخرى يطول بها الوصف والتحليل !!

لكن هذا ماحصل ...! بدأ العقد الصدئ، يتناثر تناثر العَجَاج إذا استدبرته الريح ، وتناثر الأوراق من الوهَج والجفاف...

وكما قيل :

وتناثــر العِقــدُ الصــديءُ وأصبحــوا

فـــي مَزبـــلاتِ الفكــــرِ والتاريــخِ!!

وهي رسالة لكل النظم المستبدة والباطشة، أن تركب قطار الإصلاح والتغيير الجادَين، وليس الهزليَين أو التمثيليَين !! لأن الشعوب أصبحت من الوعي بمكان، وحازت الذكاء الثوري الإصلاحي ، الذي ملّ الوعودات الكاذبة، وضاق من الأماني الزائفة ، ولم يعد ينفع معه سوى الإصلاح السريع ، والتغيير الجاد العاجل، وإلا فإن الحاقة الشعبية ستحيق بالمتخلف ، والقارعة الجماهيرية ستقرّع المستبد، والواقعة البشرية ستقع، ولا يظلم ربك أحدا .!!!

لقد اقتنعت الشعوب مؤخراً بضرورة التحرك ، وأن الصمت المدفون ليس حلاً لتحصيل الحرية ، وأن الأرزاق لاتنزل مطراً من

السماء ، بل لابد لها من السعي المدفوع ، والانتفاضة الميدانية في (**الإطار السلمي المعروف)** .
لأننا ضد العنف بكل أنواعه ، ومع الحركة المرتفقة، والهبة المنضبطة ، لأن مثل ذلك التحرك السلمي يبعث برسائل للظلمة بالتراجع والانتباه، وأخذ الأمور بجدية، فإنهم إذا لم يُصلحوا ، ويركبوا جناح التغيير، سيبتلعهم **(الطوفان العربي القادم)** الذي ابتلع دولاً ، وبات وشيكاً من أقطار أخرى ، لا تزال مصرة على العماية والغواية !! ، لكأنهم كما قال الله :
()لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ (179) الأعراف.
إنها لرزية عظمى ، أن يرى الإنسان تُذر الهلاك من حوله ، واشتعال النيران في جيرانه ، فلا يرتعب ولا يخاف ، وكأن الأمر لايعنيه ، والبلاء لايطوف به !!
إن هذه الشعوب تصبر كثيراً ، وقد تنام نومةً طويلة ، تشبه الموت ، ولكنها سرعان ما تحيا إذا توفرت لها أسباب الحياة من الزاد التثقيفي، والتغذية الفكرية النشطة ، أو إذا استشرى بها الطغيان ، وبلغ مداه ، وجاء على الأخضر واليابس ، وعم الصالح والطالح ... فإنها حينئذ تعلن حنقها ، وتعود لريادتها ، وتحكم سيطرتها، وتغتال كل معاند يمكر بها ...
وهذا سر من أسرار تحريم الظلم ، ووجوب قيادة الناس بالعدالة والرحمة ، لكيلا تسخط الناس ، ويتفاقم الحنَق ، فيقع مالا يُحمد عقباه ، من التفلت والثورة والمنابذة .... على أن التغيير السلمي في الإطار الإصلاحي الإسلامي ، يبتدىء تدريجياً ، ويرفض العنف ، ويتماشى مع أدبيات الشريعة الإسلامية والهدي المحمدي الرشيد.
والتحرك الشعبي السليم ، من شأنه الزجر ، والإنباه ، والأخذ على الظالم ،ودفع حركة المحاسبة والشفافية ، وتعميق العدالة والقسطاط المستقيم.

وفي هذه الرسالة نحاول استكناه أسرار الروح الجمعية في الثورة المصرية، وكيف تم لها النجاح في رقم قياسي شديد، ولحظة تاريخية فارقة، وهل كل تجمع سلمي يمكن له النجاح، وتجاوز قنطرة الاستبداد، لا سيما وهم معازيل مساكين، محتقرين من خصيمهم وظالمهم..

والله ولي التوفيق .

السبت 28/4/1432 هـ
2/4/2011 م

(1) الكثـــرة :

قال تعالى : (وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ) 86 الأعراف .

إذ تمتاز الشعوب الإنسانية، بأنها فئام من الناس ، وجماعات متفرقة ، لايكتسب أحد سلطة عليها إلا حينما يكثرون، وتتنوع تخصصاتهم ومواهبهم، ومثل هذه الكثرة مخيفة للظلمة والآخرين ، ويحسب حسابها، لاسيما إذا باتت واعية، وقام عليها سراج التثقيف والتنوير بحقوقها ومطالبها، **ولذلك لما اختلف الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله في قصة البيع التاريخي للأمراء، مع السلطان أيوب، وقال: هذا شئ لا يعنيه !! عزل نفسه وخرج مسافراً إلى بلده الشام، وخرجت الأمة وراءه، حتى ذكر المؤرخون أنه خرج وراءه العلماء والصالحون والعبّاد والرجال والنساء والأطفال ، حتى الذين لا يؤبه لهم ، هكذا تقول الرواية ، أي عامة الناس خرجوا وراء العز بن عبد السلام في موكب مهيب ، ثم ذهب بعض الناس إلى السلطان ، وقالوا له : من بقي لك تحكمه إذا خرج العز بن عبد السلام ؟ وخرجت الأمة كلها وراءه وما بقي لك أحد ؟ متى راح هؤلاء ذهب ملكك ، فأسرع الملك الصالح أيوب للعز، وركض يدرك هذا**

الموكب ، ويسترضيه ، ويقول له : ارجع ، و لك ما تريد ، قال : لا أرجع أبداً إلا إذا وافقتني على ما طلبت من بيع هؤلاء المماليك ، قال : لك ما تريد ، افعل ما تشاء. فلا يمكن تصور زعامة بلا شعب!

ولذلك يحرص المستبدون على تغييبها ، وتجهيلها وإشغالها بالمعيشة أو باللهو، ليصرفها عن واجباتها الشرعية والإصلاحية، ولأن كلامنا على (الوطن العربي)، ومصر خصوصا، وظروف الاستبداد المهيمنة عليه ، والمحروسة من الغرب الصليبي، تشاهد حتى في الدول الغنية المترفة، من مناهج الإفقار والإلهاء ، وعدم الجدية في ركوب عجلة التنمية وتوفير المهن والسكن ، وصرف الدواء للمحدودين بلا ثمن، الشئ المبهر !!

لأن المستبد يعتقد أن سياسة الرخاء تفتح الأعين على مسالكه، وتنير الوعي على خباياه، بينما سياسة الإفقار تعمي البصائر ، وتشغل الناس ، بالدرهم والدرهمين لاسميا ومشاريع الإصلاح الوهمي، تتردد في كل نشرة يومية !!

وأعتقد أن العكس صحيح ! وآثاره الإيجابية أغزر ، فمسالك الإرفاه والرخاء على الناس تعزز الصلة ، وتدعم المحبة ، وتكلل بالدعوات بطول البقاء ، والتوفيق من الله.

والإفقار حتى وإن أعمى ابتداء ، وشغل مُدداً ، فإنه ينقلب بالضد على صانعيه، حيث يوغل الصدور، ويفسد الأخلاق ، ويدمر السلوك ، وقد قال العامة **(الفقر كافر) ويُروى حديث (كاد الفقر أن يكون كفراً) عند ابن عدي والبيهقي في الشعب ولا يصح،** أي يحمل صاحبه على أخلاق الكافرين والمردة!! وهذا مالايحبه العاقل الحكيم !!

وبذل الملايين على تهدئة الناس، خير من استفزازهم وحملهم على الموبقات ، المورثة للغم ، والهلع، والخسائر !!!

ولقد أصبح الناس على اطلاع شبه تام ، بما يجري وبلا سُتُر وحجب ، بفضل هذه التقنية المذهلة ، والانفجار الالكتروني الخاطف .... !!

فأين يختبئ المختبئ، وأين يخادع المراوغ والكذاب ؟! كل ذلك ينضاف إلى كثرتهم المخيفة، ولهذا استعاذ رسول الله من ضدها،

وهي القلة كما عند أبي داود **(اللهم إني أعوذ بك من الفقر، ومن القلة والذلة) وفيه ضعف ولكن أورده للاستئناس**،
وأيضاً الحق الصحيح، يحتاج إلى كثرة كما قال عيسى عليه السلام : **(من أنصاري إلى الله) آل عمران.**
وفي كلام هود عليه السلام : **((قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ))(هود 80)**
وأحياناً قد تكون القوة جماعات متراصة ، والله اعلم .

(2) التجمـــع :

الشعوب يُخاف منها تارةً لكثرتها ، وتارة لتجمعها السريع ، والذي قد يأتي عفوياً أو استراتيجياً، لاسيما عند غلبة الظلم، أو وجود المؤسسات الأهلية والخيرية والفكرية التي تتبنى الفكر التجميعي والتنظيمي ، ولذلك ترتعب الأنظمة المستبدة من كل تجمع! بما في تلك التجمعات التسويقية والرياضية والترفيهية ، وتنشر حرسها وزبانيتها فيها ، وفي أعماقها، تحسباً لما قد ينتج عنه من تجمع رياضي إلى تجمع إصلاحي ، ولذلك تراقب المساجد ذوات الجموع الغفيرة ، والعادية لمجرد الاجتماع فيها ، وتُرصد حركة وخطب الدعاة ، والخطباء المؤثرين ، وأصحاب القبول الجارف ، خوفاً من أي تجمع ينقلب إلى حركة رفض، أو اعتراض واعتصام تطالب ببعض الحقوق السياسية أو المعاشية .
لذلك يتعمد الظلمة والمستبدون تفريق الناس ، والعمل على إثارة العصبيات والمذهبيات والعرقيات، لكيلا يحصل الالتئام الاجتماعي، الذي قد ينتج عنه أي شكل تجميعي يُخاف منه !! فيمنعون أي تجميع ثقافي أو فكري أو علمي أو رياضي بدون ترخيص!! ، وإن كان يسمحون بالتجمع الرياضي الترفيهي، لمجرد الرياضة أما لو انقلب إلى مطالب وحقوق ، فإنه يراقب ويحاصر ، وربما اعتُقل المدبرون له ، والله المستعان ، ولتمزيق الوحدة المجتمعية تلجأ أكثر الأنظمة وأشدها قمعاً إلى منع (**حرية التجمع)** كمنعها حرية التعبير الشرعية ، مع أن التجميع والتجمع طبعة إنسانية، موجودة في الذهنية الإنسانية والسلوك الإنساني، باعتبار مدنية الإنسان ، واحتياجه إلى إخوانه للحديث، والسلام، والتبسط، والمشورة،

والكاره لذلك يُعيّر بالسقم ، أو النكسة الاكتئابية الميالة إلى الوحدة والانزواء !! .

(2) الإصــــرار:

قال تعالى : (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (115)) طه.

التجمع الشعبي المتكاثر، يقذف في قلوب أتباعه الإصرار على تحقيق المطالب والأهداف ، لا سيما إذا تم التثقيف الرصين، وحضرت ساعة النقمة على الظلم ، واقتناع الجميع بالأذية المتوالية من أزلام الطاغوت، وفحينئذ تحضر ساعة الغضب والإنكار التي تستولي على مشاعر الثائرين ، فيأبون الرجوع أو النكوص قد امتلأت نفوسهم بالعزيمة ، وخالطهم الإصرار ، وبات لديهم من الهمة والشكيمة مايصيرهم بواسل حانقة، وضراغيم كاسرة، .. لاتخاف ولا تتراجع، وحتى مع تقصير التثقيف أحياناً، بسبب الرصد، وسياسة القمع والاستفراد ، يتوالد الإصرار نظرا للقمع الطاغي الذي يثمر الانفجار الشعبي العاتي، الذي لاينكسر دون تحقيق آدابه ومقاصده ، وهو مانسميه (**الإصرار**) هنا، الذي يحمل صفة العزم، والحزم، والشجاعة واستحلاء المكاره ...

ولذلك يلزم الثائرون طريقهم، ويبقون على اعتصامهم إذا كانوا مصممين حتى يُرفع الظلم، وتتحقق أمانيهم...

لأدفعَ عن مكارمَ صالحاتٍ

وأحميَ بعدُ عن عرضٍ صحيحِ !

وهم عُزَّل عن كل سلاح أو عصي، وأسياخ ، بل يثورون سلمياً ، ويتحركون بكل معاني الأدب، والانضباط، والحضارية، التي تعبر عن أخلاق الإسلام النبيلة ، والاعتراض الأدبي اللطيف .

<u>وهذا الإصرار يأتي في أشكال منها</u> :

1- **الحرص على التجمع والتكاثر في وقت سريع .**
2- **التزام موقف احتجاجي، معيّن كالاعتصام، أو الوقفة الاحتجاجية، أو التظاهرة والمسيرة.**
3- **رفض التراجع، حتى الاستجابة للمطالب المحدددة .**

4- **التصلب حينما يتعامل الخصم بلغة العسف والقوة والاستعلاء ، فيؤذي ، ويَدُعّ ويعذب ، إلى أن يصل إلى أشنع الطرق وهي القتل والإبادة بالغازات المميتة ، أو الرصاص الحي المباشر ، كما حصل في دول كثيرة ، ومؤخراً في تونس ومصر وليبيا واليمن ، وانتهى إلى سقوط ظالمين ، وبقي آخران يترنحان في أيامهما الأخيرة ، بإذن الحي القيوم** .

(وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) 42 ابراهيم .

(3) التثبيــت:

قال تعالى : (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (9)) الفتح .

دائماً ما نقول ، إن ثبات الأفراد، أقوى وأشق من ثبات المجموعات! لأن الأفراد غالباً ما يتخذون قرارهم من أنفسهم، من خلال تثبيت الله تعالى لهم .

أما المجموعات ، فإنهم مختلفو الأطياف ، ومنوعو المشارب ، فيهم.. وفيهم!! ، فتثبيتهم ينشأ من تكاثرهم ، وتجمعهم بعد توفيق الله لهم، إذا صدقوا واحتسبوا في دفع الظلم عن أنفسهم ومجتمعهم ، ومحاصرة الفساد لكيلا يطول .

قال **تعالى : (فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ القُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ) 116(هود) .**

وهذه فائدة جليلة للتجمعات الشعبية، أنها تعلم أتباعها التثبيت، وتحمل الجميع على الصبر والشجاعة ، واحتمال الشدائد ، فحينما يدبُّ الخوف ، أو يطرأ اليأس في قلوب بعضهم ، تندفع الأكثرية للتثبيت والتصبير ، والأخذ بهم إلى العمل والمواصلة .

<u>والتثبيت ينشأ هنا من أمور هي</u> :

1- رؤية الجمع الغفير، الباعث على الصبر والثبات .

2- ظهور مشاهد رائعة للصامدين والثابتين.

3- حصول الاطمئنان النفسي من جراء الجموع وتوافدها .

4- وجود إشراف قيادي أو تنظيمي على تلك الاحتجاجات ، تقوم بالعملية التثقيفية والتأمينية.

5- الامتزاج بالروح المعنوية المرتفعة، من قبل المحتجين والتي تعليها الخطب والكلمات المرددة ، والقصائد ، والهتافات ، كالكلمات الرافضة للظلم والفساد وأشعار الحرية والانطلاق ، كالبيت المتوهج السائر، الذي **بات (نشيد حرية الشعوب) لأبي القاسم الشابي التونسي :**

إذا الشعــبُ يومــاً أراد الحيـــاةْ
فلابــدَّ أن يستجيـــبَ القـــدرْ
ولابـــد لليـــل أن ينجلـــيْ
ولا بـــد للقيـــدِ أن ينكســـرْ!!

(5) التـآزر :

قال تعالي : (وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) (الأنفال)

يحمل التجمع الشعبي أصحابه على التعاون والتآزر ، بحيث يرحم بعضهم بعضاً ويناصر بعضهم بعضاً ، لأنهم يحملون قضية احتجاجية عادلة ، وهي تحسين الأداء ، ورفض المظالم ، ، وإقامة العدالة الإجتماعية ... هذه هي غالباً هي مطالب الثورات الشعبية ، وقد تضاف إليها أشياء أخرى ، لكن الأساس هي العدالة الاجتماعية ، والكرامة والعيش الرغيد.

وسبب ذلك يرجع إلى أن كل تجمع شعبي، أو احتجاج جماهيري، من شأنه أن يقرر احتياج الناس بعضهم لبعض ، وأنهم متفاوتون في القوة والسلامة والتحرك وحملان الهم ، فحينما يبرز المحتاج يسارع إليه أخوه بالتشجيع والرأي والمال ، والدواء والغذاء، وما شابه ذلك من الحوائج اللازمة لكل اعتصام قائم ....

لقد رأينا في **(ميدان التحرير)** إبان الثورة المصرية صورا للتكافل الاجتماعي الباهــر ، والذي امتاز بالصدق والدقة والمروءة والتراحم لكأنهم (**أسرة واحدة**) لا نزاع بينهم ولا اختلاف .

<u>وهذا التكافل العجيب أحدث مايلي</u> :

(1) صمود المتظاهرين والمطالبين بالإصلاح .
(2) ارتفاع الروح المعنوية لديهم .
(3) عدالة قضيتهم ، وصحة مسلكهم .

(4) تكثير المتظاهرين ، والخروج بالعائلات والأطفال .
(5) إرهاب الخصم والمخالف، حتى يرجع عن غيه المتبع .
(6) تبصير الغافلين والخاملين بصدق مطالب هؤلاء ، وأنهم حِراصٌ على الوحدة والاجتماع ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، لسائر أبناء الوطن.

(7) الالتحـــــام :
قال تعالى :) كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ) (4: الصف) .

ينتج عن ذلك التكاثر والتجمع والتآزر، منجز شعبي اسمه (**الالتحام**) الذي يصير من هؤلاء جبلاً شامخاً، أو صخرةً صمّاء ، تتحطم عليها كل أدوات القمع والابتزاز ، وتدرك أنه لا مناص من فهم المطالب الشعبية ، واحترام الكرامة الإنسانية، لكل المظلومين والمطحونين والمهمشين ....!!
ومثل هذا الالتحام يحسس الغرباء والبعداء، بأنهم أسرة واحدة ، وجماعة متفقة وحزب منظم مترابط! لن تستطيع يد البطش أن تصل إليه ، وكل مسلك تهوري عنفي سيودي بصاحبه ، كما حصل في بعض البلدان التي اختارت الحل الأمني مع مطالب المتظاهرين، إلى أن انتهى بهم الأمر إلى الفرار ومغادرة البلاد وباتت فضيحة تاريخية ، حتى قال المواطن التونسي صاحب (**صرخة الحرية**) الضاربة في أنحاء المعمورة :
بن علي هرب ....، بن علي هرب ...، السفاح القاتل هرب،!! هــرب من الشعب التونسي .. المجد للشهداء ياشعبنا يا كبير.... ، ياشعبنا يا سبع ....، يا شعبنا يا بطل ....اتنفسوا الحرية... الخ .
فهذا المجرم المجاهر بحرب دين الله ، وقامع الصلاة والنقاب ، وكاتم الحريات ينتهي مصيره إلى الفرار ، وبات عاجزاً وخائفاً من شعب أعزل، أرهبه بسرعة التكاثر والتجمع ، ورفض كل مسالك القمع الأمني ... !!

فلا حوار يملك ، ولا إصلاح يرغب ، وكل أمانيه ووعوده، باتت زائفة لم تنطلِ على الشعب الأبي الواعي!! وهذا التلاحم سلاح شعبوي خطير، يهد كل ظلم ، ويسقط كل حيف، ويدحر كل بوليسية تُمارس ضده وضد حقوقه، ومن صور الالتحام التي لا يمكن تنسى، تصدي المتظاهرين للبوليس القمعي في التحرير، واحتمالهم الضربات الكهربائية، والساخنة، في موقف بطولي باعث على الافتخار! وكذلك مشهد التحامهم بالشرطة على كبري قصر النيل تلك الملحمة النادرة، التي فروا فيها كالجبناء، وأثبتت أن الهبة الشعبية الملتحمة تكسر كل ذعر وقيد.

ألم يقل قوم شعيب لشعيب عليه السلام :

(وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) (91 :هود) .

لكن العزة حضرت هاهنا من جراء التلاحم معه ، وحماية دعوته والتجمع حول ذاته ومشروعه الإصلاحي.

(7) الغضـــب :

إذا تعاظم الإصرار الشعبي على الإصلاح ، ورفض المظالم الإجتماعية ، وأعمل الظالم قواه ، زاد من غضب الناس ولعنتهم له ، وجعل نفوسهم تمتلىء بالحنَق والمقت لكل ممارساته ، وباتت حسناته اليسيرة ، لا قيمة لها، وربما زُحزح الإنصاف من عقولهم ، ولم يعد يروا إلا الصورة السوداوية، لكل تحركاته وتجلياته ....!!

لأنه فعل ما يغضبهم ، وجاء ما يُسخطهم ، ولئن تقاعس الناس عن قضايا الحريات ، إلا إنهم لايتقاعسون عن قضايا المأكل والمشرب..!!

ولهذا سمى الناشطون (**28 يناير) جمعة الغضب**..وكأنه قد اكتملت فيها كل مظاهر الغضب، الموجبة للنقد والاحتجاج، من الظلم الفادح، والطبقية المتعمدة، والتنكيل بالضعفة، وتفشي البطالة، وتزوير الانتخابات، وغياب العدالة الاجتماعية...الخ.

وجميلٌ ما أطلقه بعض المفكرين، مخاطباً الزعامات **العربية** **(أطعموا شعوبكم قبل أن تأكلكم)** ولن يكون الأكل إلا مصبوغاً بروح الغضب الشديد، الذي يجعل الآكل يلتهم اللقمة

التهاما ، ولا يجعل عليها توابل أو مقبلات !! ولذا فقد ضاعفت خطابات مبارك من حجم الثورة المصرية، وألهبت غضبها، رغم جمعة الغضب الفائتة، وزادت الحشود، حتى أطلقوا الشعارات الساخرة **(ارحل يعني امشي، يمكن ما بيفهمشي)!!**

وأما الأشياء المغضبة للشعوب فهي كثيرة ، من أشهرها :

(1) الظلم الممنهج ، والمضروب على هامة الخلق ، قال تعالى **:(إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ) (التوبة: 42)**

(2) الفساد الإداري الطامّ ، قال تعالى : (**فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ) (: الفجر12) .**

(3) بخس الناس حقوقهم ، وحرمانهم من العيش الرغيد.

(4) تبديد الثروة ، واختزالها في فئات محددة ، من دون سائر الناس .

(5) كبت نطاق الحريات ، وحرمان الناس من الكلام والتعبير، والمشاركة السياسية والإعلامية ، ومثل ذلك خليق أن يؤدي إلى الزلزلة والانفجار.

(6) امتهان الكرامة الإنسانية ، بحيث يُهان الإنسان ويُقهر في بلده ومسقط رأسه وسروره، بدون أدنى اعتبار، ولا لشىء اقترفه !! ، إلا لأنه طالب بحقوقه !!

ولقد سمعت بعض أفراد الشعب المصري بعد نجاح ثورتهم يقول (بس يعاملونا كبني أدمين ...)!!!

والمعنى أنه طوال الفترة السابقة، لم يحسوا بمعاني الآدمية، والاحترام والتكريم ، بل يساقون سَوق النعام والدواب !! قاتل الله الظلم والظلمة .....! ولقد لقوا حتفهم ونهايتهم الحتمية **(فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا)** مريم.

وما من يدٍ إلا يدُ الله فوقَها

ولا ظالمٍ إلا سيُبلى بأظلمِ!!

(8) **التحــرك :**

حينما تنجح كل الأسرار والعوامل السالفة، والموج الشعبي متلاحم متلاطم ،ولم يعتبرهم الظالم ، أو يستجِب لمطالبهم !! قد يتعين تحويل تلك التظاهرة أو الاعتصام إلى (**مسيرة ميدانية**) تشق أوساط المدينة وأطرافها وحزامها وميادينها وحدائقها ، لمزيد من الضغط ، وتحقيق الانفراج ...
لأن بعض العتاة والمستبدين يقول: دعوهم ، يصيحوا ويهتفوا... ولن يفعل إلا ما يعقد صوابه ..... ؟! على حد تعبير لويس الرابع عشر **(أنا الدولة، والدولة انا)** !!!
وعندها قد ترى (**القيادات الشعبية**) مسلك التحرك والسعي، لمزيدٍ من الترويع للظالم حتى تصيب أهدافها المبتغاة **(وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا المَدِينَةِ يَسْعَى) القصص:20)**
وهذا سر تمتلكه الشعوب المتكاثرة والمتآزرة ، إنها تستطيع التحرك والسير العفوي، وهي حاملة للوحات والشعارات بكل طريق حضارية مسالمة ، تأبى العنف والتكسير والتخريب .
وهذا التحرك تلويح بالإنذار ، والقدرة ، والمنَعة الشعبية ، التي يخشاها عقلاء المستبدين إن كان فيهم عقلاء !! ، وإلا فإن الاستبداد قد يُعمي العقل ، ويطمس البصيرة ، ويلتف عليه عصابة من المنتفعين ، تشعره بالهدوء التام ، وخيبة المشاغبين، وأنهم لايتجاوزون العشرات !! كما فعل في بعض الدول التي تحركت مؤخراً تطالب بالحرية والعدالة!! مستبدون يقمعون إخوانهم ، ويسمون الأحرار المكبوتين جماعات تحريض !! ورجل الداخلية الموقر ... يقول له: ... ثلاث أيام ... وحخلص عليهم !! .... فحاقت الدائرة بهم ، وانقبلوا صاغرين ، وولوا مدبرين...!

(9) التبصيــــر :

بما أن هؤلاء المجتمعين تحركوا عن بصيرة بحقوقهم وحياتهم ، إلا أن ثمة شرائح كثيرة جاهلة ، ومنهم فئات غير واعية ، وأخرى راضية بالدون والدنية، وتحتاج إلى من ينتشلها ويقذف في روحها الوعي والاهتمام، وسرعة التحرك والانضمام للعمل الإصلاحي الشعبي .

وكل تجمع احتجاجي، سيثير أسئلة كثيرة حتى عند إخوانهم ، من المعترضين الصامتين ، لِمَ يتحرك هؤلاء ، ؟!
ولِمَ هذا الصراخ .... ؟! وهل هم مظلمون ؟!
وهل يجوز الاعتراض ؟!
وهل تؤخذ الحقوق بهذه الطريقة ؟!
ولهذا من الضروري فتح ساحات نقاشية في الميدان ، وفي الفضائيات والألكترونيات لتعليم هؤلاء وتبصيرهم ، وإزالة ركام الغي المتلبد بأذهانهم ، لأن الإعلام الرسمي من عشرات السنين هو إعلام موجه ، غاسل ماسح ، لايبقي للحقيقة مثقال ذرة ، حيث يدلس، ويمكر، ويغطّي، ويكذب ، الخ !!
إنه يرضي الناس بالموجود ، ولا يفكرون في الإصلاح والتغيير !!
فعندما يسمع المسلم بالعجز الحكومي ، وخلو الموارد ، وكثرة المديونيات الرسمية، لايفكر في الإصلاح المعيشي ...!!
ويقول : نحن أحسن من غيرنا!! وحينما يسمع ثقافة شرعية فاسقة، تمارس الإرهاب الفكري ، والتضليل العلمي ، وتحرم التغيير والنقد الإصلاحي، والمظاهرات السلمية .. سينتج عنها بلا شك ، جيل خامل بارد ، يمنع كل بوادر إصلاحية تحررية !!
فوجب حينئذ على (**القوى الشعبية**) أن تمارس دور التبصير الإجتماعي، لمثل تلك الفئات ، وهو ماسيحصل عفوياً وتلقائياً بإذن الله تعالى ، لأن وجود المحتجين أياماً سيجيب على مثل تلك الإشكالات، ويبصر الناس بواقعهم ومستقبلهم وهو ما لايريده المستبد ، لأنه سيكثر عليه الجموع المجتمعة ، ويزيل ركام التخلف والضياع السابق ، ويرفع سقف المطالبات ويكشف ألوان الفساد الرسمي ... !!
وقد يجر هذا التبصير العفوي ، إلى شىء جميل اسمه (الوعي) فتدرك هذه الشعوب الخاملة ، حقها في العيش الكريم ، وحصول الامتيازات وتحقيق الرخاء والرفاهية والعدالة الإجتماعية ، وأن الإسلام يكفل للجميع المساواة ، وبلوغ الأماني كل بقدر جهده واجتهاد .

وستنتهي عملية (**الوعي المحروز**) لدى الناس بتقويض عصبة الاستبداد، وشل حركة الإفساد الإداري ، وإشاعة ثقافة الشورى والانتخابات ونظام المؤسسات ، والمحاسبة والرقابة والتحقيق ، وأن الجميع خاضع للكشف والمساءلة ، متى مابان تقصيره ، وحصل ضرره   والله الموفق .

(9)   التنسيـــق :

قال تعالى : (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) آل عمران.

جميع صور الاحتجاج الجماعي ، لايمكن لها أن تستمر في النجاح والتطور، إلا حينما تدخل حيز التنسيق والعمل المنظم .

<u>وهذا له فوائد ملموسة أهمها</u> :

(1)   استمرار العمل الاحتجاجي ، وكتابة النجاح له في تحقيق أهدافه .

(2)   رفع درجة التثقيف لدى المشاركين .

(3)   تكثيف الجهود الإصلاحية ، وتحويلها إلى أشكال عملية، بالغة الدقة والتنظيم .

(4)   ترتيب أولويات التحرك ، والاحتجاج لقطع كل سبل للفتنة والتنازع ،

قال تعالى (وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (46: الأنفال)

(5)   خطوة عملية إلى تأسيس العمل الحزبي والجماعي المنظم، والذي ينسق العملية التثقيفية والحركية ، بحيث يتعرف الناس على واجباتهم وحقوقهم.

وليعلم أن الإسلام بتعاليمه لايحرم العمل الجماعي المنظم ، ولا ينبذ اجتماع مجموعة للعلم ، والتثقيف والأمر المعروف والفضائل والنهي عن المناكر، والمفاسد في الإطار الشرعي ، وكل من يفتي بخلاف ذلك ، متقول على الله ، يغرف من كيسه، وليس من الشرع المطهر!!

والتعبير السلمي عن الرفض والاحتجاج، متناغم مع أدبيات الإسلام والطبيعة البشرية للإنسان ، ولايمكن

محاصرتها أو التضييق عليها، فمثلا في مصر لعبت صفحة(كلنا خالد سعيد) دورا منهجيا في الحشد والتحريض، ضد القمع والظلم مع معطيات أخرى!! وحركة (6 أبريل) بلا ريب أسهمت تنظيميا وتعبويا في ذلك كله!! وقبلهما(حركة كفاية) ضربت بعمقها الفكري والتغييري في ركام الاستبداد، وأحرزت نتائج متينة، من أهمها رفض التويرث، ويكفي دلالة اسمها الرائقة، الباعثة على محبة التجديد والتطوير، لا سيما وكلمة كفاية، دارجة على اللسان المصري الفكاهي.. اعمل معروف كفاية،.. فانتشرت بسرعة فائقة في الناس، لكأنما.. وافقت قلبا خاليا فتمكنا..!!

ولذلك لم يقم النظام المصري بمحاورتها، بل باشر قمعها على طريقته في القمع البوليسي، وسجن وضرب مفكريها ورموزها، ولا يمكن لنا نسيان ما فعلوا بالدكتور المسيري رحمه الله، حيث رمي به وزوجته على الطريق السريع، رغم كبره وشيخوخته، بعد تجريده من محفظته، حتى استنقذه الله بسائق باص، حمله بلا مقابل، لما عرفه، وكان قد رفضت معالجته على نفقة الدولة، بسبب كفاية، رغم علمه وإتقانه البحثي، وهو مصنف (الموسوعة اليهودية الصهيونية)..!!

وحينمـــا يتفاقـــم التضييق عليهـــا قد تنفجر، وتؤدي إلى ثورة شعبية قاصمة ، لا تبقي للمستبد مناراً ولا قراراً ، (**وعلى نفسها جنت براقش**) ، لأن التحرر والانطلاق طبيعة الكائن الحي ، فما بالك بالإنسان ذي العقل والفهم ، والحاجة للسعي والسير والتحرك ، ومنعه من هذه الحقوق الطبيعية، سوف يغيره نفسياً وصحياً ويضاعف من السخط الشعبي العام ، وهذا ما لايحبه العقلاء ، إذا أعملوا عقولهم ، وتحركوا بعقلانية حضارية ، والمحصل أن التنسيق قوة شعبية، تدعم من الاحتجاج ، وتنظم صفوف الناس ، وتطهر الصفوف، وتحمي الأفراد ، وتسهم في حفظ الوئام المدني ، وممتلكات الناس ، كما حصل في تونس

ومصر تحت مسمى (**اللجان الشعبية**) التي تقوم بالحراسة وحفظ الأمن، وهي كذلك قبل الثورة والاحتجاج ، تطعم الناس وتقوم على رعايتهم ، وتدفع لهم مصاريف العلاج ، وتكاليف الحياة ، وتميز المحتاجين عن سواهم، بل إنها تساعد على ضبط الوضع الاجتماعي ، وتسد ثغرات التقصير في النظام القائم.

وهذه الممارسات تعرف في المصطلح الحديث (المجتمع المدني) أو (الأهلي) التي تضيق عليه الأنظمة المستبدة ، وربما تمنعه نهائياً في بعض البلدان لأنه يضعف عمل الدولة ، ويكشف إهمالها أحياناً!!

وهو تصور خاطىء ، لأن هذه المؤسسات المدنية والخيرية، حينما تقنن بقوانين متحضرة ومنصفة ، لا يأتي الوجل من خلالها!! بل ستسهم في حفظ الأمن وتكميل القصور، لا سيما زمن الكوارث والأزمات، والله الهادي إلى سواء الصراط .

(11) **التحــذير** :

عندما تكتمل عدة عوامل للتجمع الشعبي، ويحسن التنسيق الاحتجاجي السلمي، يتراد في مسامع الناس رسالة تحذيرية مفادها ، أننا امتلكنا الوعي ، ونريد الإصلاح ، وكبح جماح الفساد .

وسوف تبلغ كل مسئول غيور على العدالة والرعايا، وحريص على مستقبل أمته لامستقبله !!

ولذلك هي لحظات غاضبة ، ووقفات مُحتقنة ، لا يفكها إلا الاستجابة، ودفع عجلة الإصلاح بسرعة ، وأما سلوك طريق العناد والاستكبار والتهميش ، فإنه سيضاعف من شعلة الغضب ، ويجعلها حرائق نفسية ، تغلي غلياناً لاحد له، بحيث قد تنعدم السيطرة عليها في المراحل المقبلة ، وهو ما لايهواه الحكماء والمستنيرون !

وتأخير الاستجابة لمطالب الإصلاح ، يضخم الأعداد وانضمام كبار الشخصيات العلمية والفكرية والاجتماعية للمتظاهرين ، لأن ذلك المسلك الأرشد للوعي الاجتماعي، والمسارعة هي خُطة الحكيم ، ومطية المسئول الناجح .

ولذلك يقول غير واحد من المصريين لو الرئيس مبارك، خرج مبكرا يوم 25 يناير وأقال وزير الداخلية، وعمل إصلاحات سريعة، وطيب خاطر هؤلاء الشباب، لغرز أسفينا في الزخم الشبابي، وأجهضه، وربما تغيرت الأحداث..! ولكنه استغفل وكابر، ولم يستعطفهم ويتكلم عن تاريخه النضالي، إلا بعد تفجر الأوضاع، في خطابه العاطفي المشهور، ووقوع الفأس في الراس كما يقال!! حيث قتل من الشباب الميئات، وقطعت الاتصالات، فخرجت الجموع مشاركة، وباحثة عن أبنائها.
ولذا فإن التعامل مع هؤلاء، لابد أن يكون صادقا وشفافاً ، لأن تجمهرهم مخيف، وكثرتهم مرعبة ، وصراخهم مروع ، وتحركهم خطر، وصمودهم رسالة تحذير.
فالواجب فض الاحتجاج بكل مصداقية حضارية ، ومعانقة إصلاحية رشيدة .

(12) التغييـــر :
وهذا هو مقصد التجمهر والاحتجاج ، وفحوى الإضراب والتظاهر، أن يحصل تغيير إلى الأعلى والأحسن، ويزول الظلم ، ويرسخ العدل ، وتتحقق المساواة ، وينعم الناس بالنعيم ، ويستطعموا لذاذة الحرية ، ويذوقوا رغَد الانطلاق ، وتحجم أيادي الكبت والقمع ، ويسود الخير والرخاء .
وهذا التغيير الاستراتيجي تمتلكه الشعوب المعزولة ، والمسحوقة بلقمة العيش ، وسطوة الأمن !! نعم إنها تملكه إذا ما تجمعت ، وتنظمت ، وأصرت على حماستها ومطالبها الشرعية ، لأنها قوة دفاقة متوهجة، وتزداد يوماً بعد يوم ، ولديها من العزيمة والشجاعة ما يجعلها تتحمل الضربات الأولى من القمع والمحق، وتضحي كما ضحى السابقون لتنال حريتها ، وتصيب حقوقها ، فلقد أُشيع في الذهنية العربية ورسخ، أن مقاومة الظالم جهاد شريف ، وسيد الشهداء حمزة ، ورجل قام إلى إمام جائر، وتحدث العلماء بحديث صحيح **(أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)** وأن المقتول هاهنا شهيد لاغبار عليه ، واستشرف الناس لهامة المجد

والتضحية، والتسجيل في حديقة الشرفاء ، وركوب مطية النبلاء الأعزاء .
(وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) (8 : المنافقون) .
وإذا ماارتضت الشعوب حياة الذل والهوان، فإن الله يسلط عليها ولا يغير مابها، كما قال سبحانه :**)** ((**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)) (11 الرعد) .**
وقال سبحانه : (**فاستخف قومه فأطاعوه)** الزخرف. ولم تكن حياة الذل ، وتجرع المرارات، الحياة المختارة لعموم المسلمين وقد رفعهم الله بالإيمان، وأعزهم بالقرآن ، وجعلهم خير أمة أخرجت لناس ، تحرص على المعروفات ، وتحذر من المنكرات ، وأي منكر أعظم من الظلم ، الذي يسلب ويقمع ، ويبدد ويقتل ويحاصر !! .
وقد جاء عند الترمذي وأحمد قوله صلى الله عليه وسلم (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه)
وفي قوله (**ولم يأخذوا على يديه**) خطوة أولى للتغيير، وإحداث الإصلاح، وحين انعدام المؤسسة العلمية، وجمعيات المجتمع الأهلي ومحاصرتها، تتعين الغضبة الشعبية، والمسيرة الجماهيرية التي توقف الظالم عند حده ، وتذكره بالله وبالحق ، وبانتهاج العدالة ، وعدم بخس الناس حقوقهم .. كيلا يغرق المجتمع ، أو يسير الناس في نفق مظلم ، لايعلمون مدى كارثيته المهولة !!
ولك أن تتصور مناخ التغيير الإيجابي المصنوع من قبل الشعوب ، إذا هبّت وغضبت وتآزرت ، من كبح جماح الفساد ، إلى خنق الظالمين، والقضاء على المحسوبية والظلم ، وفتح باب الحريات وإطلاق المساجين ، وإقالة المتنفذين المنتفعين ، وتصدير ميزان العدالة والنزاهة والمساواة بين الناس ، وحماية الضعفاء وكفالة الأيتام والمنكوبين، وتطبيق الشرع بحذافيره ، ورفض كل القوانين والأنظمة المعادية للشريعة، والمفسدة لأخلاقيات المجتمع، وتجسيد النظام الخدماتي ، الذي يعتبر الإنسان بهمومه هو

(الوطن) ، وليس الأرض ، أو الجبال ، أو الهضاب ، والتماثيل، والمقابر البالية !! والله المستعان .

تم ما أريد تقييده حول الثورة المصرية المذهلة، حسب ما بدا للعبد الفقير، حيث كان شاهدا عليها، ولاحظ مقدماتها وبواعثها، سائلا المولى حسن التوفيق والسداد، وأن يحفظ مصر وسائر بلاد المسلمين، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل...